المشرق

منارة الكنيسة الجامعة

القديسان توما الاكويني وفرنسيس دي سال

نظر تاريخي لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

وقع في هذا العام تذكار رجلين كبيرين من توابع الكنيسة الكاثوليكيّة تقدّم الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر رأس باكرامهما خصوصاً . نريد بهما ذينك اللاهوتيين العظيمين اللذين شرّفا عصرهما ببرّهما ووفرة علومهما ودفاعهما عن كنيسة المسيح بإزاء المبتدعين. ومع انهما عاشا في قرون مختلفة فقد تشابها بجهادهما الصالح وتفوّقهما لدى اهل زمانهما وموتهما كلاهما في عزّ الكهولة لم يتجاوز اكبرهما سنّ الخامسة والخمسين من عمره. فيهما يصحّ ما ورد في سفر الرؤيا (١١ : ٤) «هما المنارتان القائمتان امام ربّ الارض فان شاء احد ان يضرّهما تخرج نار من افواههما وتأكل اعداءهما». وانما تلك النار نار محبّتهما لله وغيرتهما على شرف الدين. وليس احد منهما غريباً عن شرقنا كما سترى وذلك ما دفعنا الى كتابة صُحُف قليلة تنويهاً بفضلهما

١ القديس توما الاكويني

«الوطن» اكوينو مدينة نزهة لطيفة من اعمال كپانية جنوبيّ ايطالية في منتصف الطريق بين نابولي ورومية. كان فيها قصر فخم لأسرة عريقة في الشرف تبسط سلطتها عليها وعلى المدن المجاورة لها. ففي هذا القصر وُلد توما الاكوينيّ سنة ١٢٢٦

وهي السنة التي فيها توفي وليّ الله فرنسيس الاسيزيّ وتبوأ في فرنسة سدّة الملك لويس التاسع القديس فنشأ في عصر توفّر فيه عظام الرجال كاينوشنسيوس الثالث الروماني والبرتوس الكبير الدومنيكاني والقديس بونافنتورا السيرافيمي وَدَنتي الشاعر الالهي فكان جديراً ان يُنتظم في هذه الطغمة الجليلة فيزيدها مجداً وبهاء

كان توما صغير اخوته الّا انهُ منذ نعومة اظفاره بل قبل بلوغه الرشاد شملتهُ نعمة الله الخاصّة . سقطت الصاعقة على غرفته وهو في المهد مع اخته فقتلت اختهُ ولم يُصَب الطفل بأذى . وقعت في يده ورقةٌ صغيرة كان عليها اسم العذراء مريم فأمسكها ولم يشأ ان تنزعها أمهُ من يده واذ غصبتهُ على تركها لم يزل يضجّ ويبكي حتى ردَّتها لهُ فابتلعها . وكان اذا صاح وعول في مهده يُعطى لهُ كتاب فيسكت لوقته باسماً ويأنس بتقليب صحائفه

لمّا بلغ توما الخامسة من عمره سلّمهُ والداه الى الرهبان البندكتيين في ديرهم الشهير المعروف بجبل كسّين فـأدهش الرهبان برزانته وباجتنابه عن اسمى عقـائد الايمان . وقد صوّرهُ احد المصوّرين البارعين اذ كان في سنته السابعة وهو يوجه نظرهُ الى أعماق الفضاء وحولهُ الملائكة كأنهُ يريد ان يدرك سرّ الذات الالهيّة ومن فيه تخرج هذه الكلمات « ما هو الله ؟ »

عاد توما الى دار والديهِ بعد خمس سنوات فصادف رجوعهُ مجاعة مجحفة كادت تُودي باهل اكوينو وملحقاتها فكان والدا توما يلطّفان اوجاع الفقراء بصدقاتهما فقام توما وهو في العاشرة من سنهِ وتولّى بذاته توزيع خبز الصدقة الّا ان ازدياد عدد المحتاجين اضطرّ اهلهُ الى ردّهم خائبين فكان توما يحتال لـمساعدتهم خفية عن والديهِ واذ تبعهُ الكونت لندولف ابوهُ يوماً في ناحية وهو حامل الخبز في ذيلهِ سألهُ : مـا هذا الذي في ذيلك ؟ فتردّد خدُّ الولد وفتح ذيلهُ باسماً واذا منهُ تتناثر الأزهار على رجليهِ وعلى قدمَي والدهِ

﴿ الدارس وطالب الرهبانيّة ﴾ اراد لندولف ان يفتح لابنهِ مناصب الـدولة الرفيعة فاختار لـهُ مدينة نابولي ليتابع فيها دروسهُ العليـا وكان هناك كليّةٌ جامعة انشأها الامبراطور فردريك الثاني . على انَّ نابولي كانت مشهورةً في ذلـك العهد باندفاع اهلها ولاسيما طلبة مدارسها الى ضروب اللذّات والخلاعة ولولا نعمةٌ فريدة

من الله والعذراء البتول لما نجا من لهيب الشهوات العالمية . فكان شغله الشاغل دروسه وإتمام فرائضه الدينيَّة فاجتهد لنشاطه معلماه بطرس الارلندي وبطرس مرتين وكلاهما من كبار علماء زمانهما فأخذ عنهما الفلسفة والآداب حتى كاد يبلغ مبلغهما فجعلاه قدوة لكل رصفائه

وأدَّت بتوما ممارسة واجباته الدينيَّة الى ان تردَّد الى كنيسة رهبان القديس دومنيك وتعرَّف بسكانها فما لبث ان شُغف بمحبَّتهم وصار يلحُّ على رؤسائهم بان يقبلوه كراهب في ديرهم ولم يزل يكرِّر عليهم الطلب حتى اجابوا الى ملتمسه وفي احد اعيادهم ألبسوه ثوب الرهبانيَّة بحفلة حافلة أثَّرت في قلوب كلّ من حضرها من الاعيان والدارسين

وكان لندولف في تلك الاثناء قد انتقل الى جوار ربّه . أما أمه الكونتس تاردورا فانها لما بلغها الخبر أرعدت وأبرقت وتميَّزت غيظاً وحلفت انها ستثني ابنها من عزمه . فرحلت الى نابولي وهي مستعدَّة لاستعمال القوَّة الجبريَّة ضد ولدها اذا اقتضى الامر لكنَّ توما احسَّ بقدومها ففرَّ هارباً الى دير اخوته في رومية فزاد غيظ الاميرة لخيبتها فسارت الى رومية وطلبت ابنها لكنَّه تغيَّب عنها ولم يشأ ان يواجهها خوفاً من نقضها لعزمه وطلب من رؤسائه ان يذهب خفية الى باريس فاذنوا له فعلمت الوالدة بفكره وارصدت له في طريقه شرذمة من الجند تحت قيادة اخيه رينالد فهجموا عليه واضطرُّوه الى الرجوع الى قصر والديه . واذ حاولوا ان ينزعوا عنه ثوبه اللاهوتي دافع عنه دفاع الابطال فلم يروا بُدّاً من غضّ النظر عنه

وهنا حدث ولا حرج بما اصابه من المحن في قصر والديه فانَّ والدته توسَّلت لتغيير افكاره بكل ما اوحى اليها حبّها الوالدي من وعد ووعيد فحبسته في برج معتزل من القصر لا يدخل اليه غير اختيه وكانتاهما ساعيتين في دكّ بناء عزيمته فلم تعمل حيلهما فيه . ثم جاء اخواه رينالد ولندولف وتشدَّدا في مصادرته وجرَّداه مكرهاً من ثوب الرهبانيَّة وسلقاه بالشتم والسبّ فكان توما اشبه بصخر تلاطمه الامواج وهو يسخر بها بصبره وجلده وقد أدَّى بهما تزقّهما الى ان ادخلا في برجه غادة من المومسات الخالعات فاخذ توما جذوة ملتهبة كانت هناك ليحرقها بها فهربت مولولة . فأقفل توما بابه ووقع خائر القوى بعد جهاده فاستولى عليه النعاس واذا بملاكين حضرا

ادامة وأثنيا على ثباتهِ ومنطقا حقويهِ بنطاق ازال من قلبهِ كلَّ ميـــل الى ملذَّات الجسد فصارت حياتهُ اشبه بحياة ملاك متقمص بجسم بشري

وبقيت اختاهُ تفتقدانهِ في حبسهِ الَّا انهما بعد ان حاولتا ان توقعاهُ في حبائلها اصطادهما اخوهما بكلامهِ الحلو عذوبةً وقداسةً واقنعهما بأن يزهدا بالعالم وبعيشا لله لاسيَّا الكبيرة التي هجرت الدنيا ودخلت في دير رهبانيَّة العذراء في كابوا واقيمت عليهِ رئيسةً

وعلى يد هاتين الاختين بعد ارتدادهما نجا توما من حبسهِ بعد سنتين ونصف فدلَّتا حبلاً على نافذة برجهِ فتدلَّى متشبثاً بهِ ليلاً وذهب الى نابولي حيث رحَّب بهِ اخوتهُ الدومنيكيُّون ثم ارسلوهُ الى المانية ليدرس في مدينة كولونية اللاهوت على نابغة عصرهِ البرتوس الكبير وذلك في خريف سنة ١٢٤٤

﴿ الدارس ﴾ اتَّصف توما مدَّة دروسهِ الـلاهوتيَّة بشعائر التواضع والخمول فرارًا من مديح الناس . فكان اذا سمع تعليماً يفرغ في ادراك كل عراقيه قصارى جهدهِ فلا يفوتهُ من كبيرهِ وصغيرهِ ذرَّةٌ وهو مع ذلك كالأصمّ الاخرس لا ينبس ببنت شفة حتى ظنَّـهُ رفاقهُ انهُ غليظ الذهن قاصر الإدراك فلقَّبوهُ بالثور الكبير وبالثور الصامت . لكنَّ معلَّمهُ كان أعلم بحقيقة امرهِ فقال اذ سمعهم يتهكَّمون : انَّ ذا الثور سيُسمع خوارهُ الى اقاصي المعمور

وهكذا كان فانَّ البرتوس بعد سنتين اختبرهُ سرًّا في ايضاح بعض المشاكل فتحقَّق انهُ سيفوقهُ علماً وامرهُ بان يتصدَّر في منتدى دعـا اليهِ الاساتذة والتلامذة واخذ يعرض عليهِ ادقَّ ما في اللاهوت والفلسفة من المسائل التي لا يخوض غمارهـا الَّا اساطين العلم فاجاب على كلِّ ما سُئل ببراعةٍ غريبة وملءَ الحشمة والسذاجة حتى ادهش عقول كلّ سامعيهِ وانتشع في ذلك اليوم الغمام الذي كان يحجب نور « شمس المدارس » . فامرهُ رؤساء رهبانيَّتهِ بان يذهب الى باريس ويتقدَّم فيهـا لامتحان طالبي الملفنة فاقرَّ شيوخ كليَّتها ان ذلك الطالب احرى بان يُعدَّ معلماً نطاسيًّا منهُ طالباً بسيطاً فأجمعوا على مقدرتهِ ومنحوهُ مجزة الأدرنيَّة باجماع الاصوات

﴿ المعلم ﴾ ثم عاد توما الى كولونية حيث عُهِد اليهِ لاوَّل مرَّة الجلوس بين اساتذة كليَّتها فدرَّس اللاهوت بفروعهِ مدَّة اربع سنوات جملةً كالسراج على المنارة يضيء

يوهجه كلّ من يستنير به . واخذ منذ ذلك صيتهُ ينتشر في جهات اوربة ولاسيما في باريس التي كانت في ذلك العهد معدودة كركز العلوم ومصدرها . وفي اثناء تدريسه في كولونية سامةً كبير اساقفتها كاهناً قرانةَ الكهنوت بنعته وجعل باريس كلّ فضائله على اكمل منوال

ثم طلبهُ الباريسيون ليعلّم في عاصمتهم فيفتخروا بتعليمه واجازوا له ذلك دون سواه قبل ان يدرك الخامسة والثلثين من عمرهِ . وكان قانونهم يحظر الامر على من لم يبلغ هذا السن فباشر توما بالتدريس في دير رهبانيّته سنة ١٢٥٢ وهو ابن ٢٦ ربيعاً واذا باوسع قاعة فيه بعد أيام قليلة قد ضاقت من الطلبة المتقاطرين لاستماعهِ . بل كان الاساتذة نفسهم وعلية الاكليروس يبادرون الى حضور محاضراته . وكان اذا انتهى من القاء دروسه وأوى الى قلايته يملي على ثلثة او اربعة من الكتبة في ساعة واحدة تآليفهُ الشافية فاذا كتبوها وعددوا نسخها ارسلوها الى انحاء مختلفة حيث كان يقبل عليها الطلاب إقبال الجياع على القصاع

وكان علمُ الالهيّات ينفجر من مدارك توما كتفجّر المياه من الفزر ينابيعها فسألهُ يوماً صديقهُ القديس بونافنتورا واحد اركان علم اللاهوت في رهبانيّته الفرنسيسيّة : من اي موارد يستقي تلك المعارف العجيبة التي تخلب عقول سامعيهِ ؟ . فاخذهُ توما الى قلايتهِ وارَاهُ على مكتبهِ صورة المصلوب قائلاً : هاهوذا الكتاب الذي اقتبس منهُ كافّة معارفي

فيتّضح من هذا الجواب ان علم توما العجيب كان ثمرة تُقاهُ ووحيهِ تعالى . والحقّ يقال انهُ لم يدع العلم ينفخ قلبهُ ويجفّف ذهنهُ بل كان يغذي نفسهُ بالمواظبة على الاسرار والاستمرار بالصلاة امام المصلوب وبتلاوة كتب الآباء السُّياح ولاسيما مقالات كاسيانوس الروحيّة . وكان يضيف الى هذه المهارسات اماتات وتقشّفات عظيمة واذا دخل المائدة يبقى فكرهُ قانعاً في النظريّات الالهيّة حتى يذهل تماماً عمّا يتقوّت بهِ جسدهُ

وكان اعجاب الناس بتعاليم توما في باريس يزداد يوماً فيوماً . الا انّ دماثة اخلاقهِ ووداعة نفسهِ وعذوبة كلامهِ كانت تجتذب اليهِ القلوب حتى قلوب اساتذة باريس العالميّين الناقمين حسداً لتعليم الرهبانيّات فسعوا له على خلاف قانونهم ان

يواصل تدريسه اللاهوت فوق ثلاث سنوات

وفي تلك الاثناء باشر بتأليف كثير من كتبه المهمة التي لا يزال اللاهوتيون حتى يومنا هذا يلتجئون اليها في فك معضلات المطالب وخصوصاً خلاصته اللاهوتية التي اصبحت الدستور الدرسي في الكليات الكاثوليكية منذ ستمائة سنة وفيها لباب كل تعاليم الرسل والآباء والمجامع المقدسة على طريقة منسقة

ولم يعلّم القديس توما في باريس وحدها بل علّم ايضاً في بولونية ونابولي وكان حيثما يحل يسطع نور علمه سطوعاً يكسف نور غيره

﴿ مقامه في الكنيسة والعلم ﴾ وكان الاحبار الرومانيون اذا التبس عليهم امرٌ يستشيرون بمواهبه فدخل رومة غير مرة ووعظ في كنائسها ورد الى حجر الكنيسة بعض ربّاني اليهود بعد ان أقحمهم بأدلته اللامعة عن مجيء المسيح والآن قلوبهم الصلبة بلطفه ومحبته. وقصد البابا اوربانوس الرابع واقليمس الرابع ان يقيا توما اسقفاً على بعض الكنائس لولا تمنّع القديس وتوسله اليهما بان يدعاه راهباً بسيطاً

وكما عرف العلماء ورؤساء الكنيسة فضل توما كذلك ملوك عصره تنافسوا في اكرامه. كان اولهم واشرفهم ملك فرنسة القديس لويس التاسع الذي كان يحب ان يجتمع به ويطلب مشورته في تدبير مملكته. وقد دعاه يوماً الى مائدته الملوكية فاجاب الى دعوته لكن فكره وقت الطعام كان منصرفاً في دروسه وابحاثه اللاهوتية ذاهلاً عن الغذاء المادي واذا به يصرخ قائلاً: هذا برهان يبطل كل حجج المانويين. فخجل رئيسه الجالس بجواره واعتذر الى الملك عن شتات فكر مرؤوسه. الّا ان لويس امر للحال بان يؤتى باحد الكتبة ليدوّن ما عنّ لتوما من البرهان لنقض البدعة المانوية التي كانت تعيث فساداً في ذلك الزمان في جنوبي فرنسة

وكذلك ملك نابولي كارلس الاول فانه سعى جهده ليستدعي توما الى حاضرة ملكه ليشرف مملكته بتعليمه في مدارسها وافرز له راتباً من ماله الخاص. والمدرسة التي كان يتزاحم الطلبة فيها لاستماع دروس تعليمه قد اصبحت اليوم مزاراً مشهوداً يقصده السيّاح تبركاً

﴿ معجزاته ﴾ وقد اراد الله تعالى ان يكرم عبده حتى في زمن حياته فاجرى على يده خوارق كمثل ما يُروى عن كبار اولياء الله منها ان جمهور الشعب عاينه في

كنيسة مار يعقوب في باريس مرتفعاً عن الحضيض غائباً عن حواسه — شفى في رومية مثل السيد المسيح امرأة من نزف دمها بمجرد مسّها لطرف ثوبه من ورائه — اعاد الصحة الى الراهب رينو رفيق سفره وهو موشك على الموت — شرّفه الله برؤية القديس بولس الرسول الذي اوحى اليه باسرار لم تخطر على بال بشر . وتراءت له والدة الله فاثنت على نشاطه وايدته بنعمة ابنها . بل ظهر له السيد المسيح نفسه قائلاً : « لقد احسنتَ يا توما في ما كتبتهُ عن سرّ محبتي فماذا تطلب عن فعلك من الجزاء » فقال توما : « انتَ حسبي يا الهي لا اطلب سواك »

وذلك انّ البابا هونوريوس اراد ان يقيم في الكنيسة عيداً حافلاً لإكرام القربان الاقدس اجابةً لما اوحى الربّ الى راهبة قديسة تدعى يوليانا طلب اليها السيد المسيح ان يحتفل بذكر قربانه الاقدس يوم الخميس الواقع بعد ختام جمعة العنصرة فاستدعى البابا القديس توما وامره بان يصنف رتباً وفرائض مسترفية لهذا العيد الجديد ففعل القديس ما أُمر به فجاءت الطلبات والصلوات والتسابيح التي وضعها للقدّاس والفرض الالهي آيةً في حسنها لا يتلوها المؤمن الّا يأخذ منهُ العجب لسموّ معانيها وشريف الفاظها وضبط تعاليمها اللاهوتيّة فهي ابلغ ردود على ناكري سرّ القربان الاقدس

﴿وفاته﴾ اوحى الله الى عبده توما بقرب وفاته فاعتزل في نابولي في دير رهبانيّته ليستعدّ لآخرته وينجز بعض تآليفه . لكنّ البابا غريغوريوس العاشر كان نوى على عقد مجمع في مدينة ليون من اعمال فرنسة لتوثيق عرى الاتّحاد بين الكنيستين الشرقيّة والغربيّة ولاسعاف الاراضي المقدسة فاراد ان يحضرهُ القديس توما مع القديس بوناونتورا ليجيبا على اعتراضات الروم في بعض عقائد الكنيسة اللاتينيّة . فلم يرَ توما وهو منتهك القوى بدّاً من تلبية دعوة الحبر الروماني . فما كاد يبلغ منتصف الطريق حتى خارت قواهُ وحلّ ضيفاً مكرّماً في مدينة ترّاسينا في دير رهبان السترسيين فتفاقم عليه المرض فانبأ الرهبان بقرب انحلال جسده فلم يدع اولئك وسيلةً لشفائه الّا انّ ساعة جزائه كانت قد حانت فقبل كل اسرار الكنيسة بخشوع ورعٍ التقيّة معترفاً بايمانه وشاكراً لله على انّه بقي راهباً بسيطاً وخادماً لكنيسة المسيح . ولفظ القديس انفاسه الطاهرة في ٧ آذار سنة ١٢٧٤ وهو في السنة الخمسين من عمره . وقد عرف استاذهُ البرتس الكبير بوحي من الله ساعة وفاته وهو مقيم في كولونية . ولم

يلبث خبر وفاته ان انتشر في اقاصي البلاد فصرخ الجميع لقد انطفأ بموت توما سراج النصرانيَّة الوهّاج

﴿تركتهُ الطيبة﴾ على انَّ ما تركهُ القديس توما من التآليف هو نور متَّقد منير يعزّي العالم عن فقده. فقلَّما ترى في تاريخ الكون باجمعهِ رجلًا مثلهُ اورث البشريَّة ما اورثهُ الأكويني من اعزّ العلوم وارفعها شأنًا وتآليفهُ احقّ من سواها ان تُدعى بدائرة العلوم اللاهوتيَّة والفلسفيَّة يضمّ مجموعها نحو ثلثين مجلدًا ضخمًا لو قُسمت على سني تدريسهِ (من السنة ١٢٤٨ الى ١٢٧٤) لبلغ عملهُ كلّ يوم من عشر صفحات الى ٢٠ صفحة. فمن آثارهِ شروحهُ الدقيقة لتآليف ارسطاطاليس - ومنها تفاسيرهُ على الاسفار المقدَّسة. ومنها متفرّقاتهُ في عدد لا يُحصى من المسائل العويصة التي عُرضت عليهِ. ومنها مصنَّفات تقويَّة روحيَّة لطالبي الكمال. وفوق كلّ ذلك تآليفهُ اللاهوتيَّة التي اكسبتهُ في الكنيسة الكاثوليكيَّة افخر الالقاب فدُعي «صخر الكنيسة الاصمّ - عمود الايمان الكاثوليكي - نور المدارس وشمسها - مطرقة المبتدعين - العلم الملائكي - والعلّامة بين القديسين والقديس الجليل بين العلماء». وقد امتازت بين تآليفهِ اللاهوتيَّة "خلاصتهُ اللاهوتيَّة" التي لا تقلّ مطالبها عن الثلاثمائة وثلاثين مطلبًا يُعدّ كل مطلب منها كآية في بابهِ فهي كالسلحة التي يتّخذ منها الكاثوليك سلاحهم لناهضة كلّ الهرطقات. وقد علم بذلك المبتدعون حتى قال زعيمهم لوثاروس متبجحًا: «انزعوا توما وانا اخرب الكنيسة». وقد عرف شرقنا العربي بعض فضل هذه الخلاصة بالقسم الموجز الذي نشرهُ منها السيّد الفضالة بولس عوّاد في خمسة مجلدات وعساهُ ينجز قريبًا عملهُ هذا المفيد

ومن ميزة القديس توما انَّ الاحبار الرومانيين لم يزالوا الواحد بعد الآخر يعظّمون هذا القديس ويحضّون ارباب المدارس اللاهوتيَّة على اتخاذهِ إمامًا في درس الفلسفة واللاهوت وهو افضل مرشد في تعليمها. نخصّ منهم بالذكر البابا لاون الثالث عشر الذي كرَّر مرارًا اوامرهُ بالسير على آثارهِ في كلّ الابحاث الدينيَّة والفلسفيَّة. وقد انتهز الحبر الاعظم الجالس حالًا على كرسي الخلافة البطرسيَّة البابا بيوس الحادي عشر فرصة التذكار المئوي لاثبات قداسة توما الاكويني فامر بان تُقام الحفلات اللائقة لاكرامهِ ونشر تعاليمهِ متّعنا الله بشفاعتهِ وارشدنا الى الخلاص بنور تآليفهِ

٢ القديس فرنسيس دي سال

وعد ابن الله كنيسته بالثبوت الى منتهى الدهر فلم يدعها يتيمة في زمن من الازمان واذا استأثر باحد اوليائها السرح فارسل لها عضداً جديداً على مثال ما قيل :

اذا مات منا سيدٌ قام بعدهُ له خلفٌ يكفي السيادةَ بارعُ
من ابنائه والعرقُ ينمي فروعهُ عن اصلهِ والعرقُ للفرع نازعُ

وقد قام في الكنيسة في النصف الثاني من القرن السادس عشر والاول من السابع عشر عدد لا يُحصى من نخبة الرجال وابطال القديسين . على ان القديس فرنسيس دي سال قد لاح بينهم بنور ألمع وسطع بآثره الجمّة وفضائل حياته وتآليفه المختلفة في اللاهوت النظري والادبي وفي الحقوق الكنسية والجدال والنسكيات والارشاد وهلمّ جرّا

(مولده وصباه) لاح هذا الكوكب النيّر في سماء الكنيسة في ٢١ آب من السنة ١٥٦٧ في بلاد سافوية التي كانت في ذلك العهد مستقلة يسوسها امراء وطنيون يُعرفون بدوقة سافوية . كان مولده في قصر يدعى سال (Sales) واليه نُسب المولود من ابوين كلاهما من سادة البلاد . لاحت على ملامح فرنسيس اشارات النباهة والذكاء قبل الثانية من عمره . وكان في حركاته وسكناته وعينيه من الرقة واللطف ما يحبّبه الى كلّ من ينظر اليه . وكان لطفه هذا الفريدي يُبديه خصوصاً نحو الفقراء اترابه فاذا رآهم اتحفهم بكلّ ما اعطته امّه من الصدقات لمساعدتهم وان لم تعطه شيئاً شاطرهم اكله الخاص فرحاً

(طالب العلم) لمّا ترعرع فرنسيس اظهر من النجابة وذكاء الجنان وقوة الذاكرة سهماً عظيماً فرأى والده ان يرسله الى باريس الى مدرسة الآباء اليسوعيين لينال فيها من المعارف ما لم يجده في مدرسة أنسي وطنه حيث كان اتقن اللغة اللاتينية واصاب قصبة السباق بين اقرانه

استوطن باريس فلم تشغله ما لقي فيها من الملاهي واللذات وانما انصبّ على درس البيان والفلسفة وتعلّم اللغتين اليونانية والعبرانية . وكان في سائر هذه الدروس قدوةً لرصفائه يتقدّمهم في الاجتهاد والنشاط كما يسبقهم في العبادة والتقى . وكان

مطمره ومنهم الاب • مدونات ذو الشهرة المستفيضة ونسج وحدو في العلوم الكتابية يشيرون الى فرنسيس بالبنان ويحرضون رفاقه على الاقتداء به • وكان الشاب التقي قد اتخذ البتول العذراء كشفيعة خاصة لدروسه فانتظم في سلك ابناء اخويتها واجتهد في اكرامها طاقة جهده لاسيا بعد أن ضايقه الشيطان بتجربة شديدة اذ وسوس الى قلبه انه من عداد الهالكين في جهنم الى الابد فأصيب من جرّاء ذلك بانحطاط القوى وبنوع من اليأس والقنوط فلم ينجُ من تلك الازمة الا بدخوله في احدى كنائس باريس المعروفة بكنيسة القديس اسطفانوس دي غراي (S^t. Et. des Grès) وكان هناك صورة عجائبية للبتول فانطرح امامها بكل ثقة وتلا الصلاة التي اولها «اذكري ايتها البتول» (Memorare) ولما انتهى منها خصّص نفسه لخدمتها ونذر امامها نذر العفّة ووعد بتلاوة ورديتها كل يوم • فما كاد يختم صلاته حتى انقشعت عن قلبه تلك السحابة وعاد السلام الى نفسه والعافية الى مزاجه

بقي فرنسيس دارساً في باريس ست سنين فنال الاجازة عن نجاحه في كل علومه ثمّ عاد برهةً الى وطنه فسُرّ بمعاينة اهله بعد الفراق كما فرح به اهله وأعجبوا من براعته لكنّ اباه اراد ان يدرس ابنه الحقوق ليمارس فنّ المحاماة في وطنه وكانت وقتئذٍ كليّة بادوا لها السبق في هذا الميدان يعلّم فيها نخبة من فقهاء عصرهم فاقنع ابنه فرنسيس بان يتفرّغ لهذا الدرس في تلك المدينة فارسله اليها وجعل في خدمته احد حجّابه

فباشر درس الشرائع القديمة والحديثة بذات النشاط الذي كان اظهره في باريس الّا انه لم ينسَ واجباته الدينيّة ونذره الى العذراء مريم وطلب له مرشداً يقيه من عثرات الشباب فوجد راهباً يسوعياً كان الكرسي الرسولي عهد اليه بسفارات شتى الى روسيّة واللاتية واسوج نعني به الاب انطوان بوسّفان الشهير بعلمه وتقواه وفضله المسيحي فرضي ان يتولّى ارشاد فرنسيس وما لبث ان علم ما اودع الله قلب هذا الشاب من كنوز النعم وانّ الله يدعوه الى الحالة الاكليريكيّة فساعده على تنظيم حياته واشار عليه بدرس كتب اللاهوت لاسيا خلاصة القديس توما وتآليف القديس بونافنتورا ومجادلات الطوباوي بلرمينوس اليسوعي مع مطالعة اعمال بعض الآباء القديسين كيوحنا فم الذهب واوغسطينوس وايرونيموس وبرنردوس • فكانت هذه الدروس

ترشحهُ لقبول درجة الكهنوت التي كان راغباً فيها لكنهُ كتم ذلك من والدهِ وأتمّ درس الفقه والحقوق ونجح نجاحاً باهراً في امتحاناتهِ التي كانت الشرط لقبول اجازة الملفنة ثم خرج من بادوا وزار معبد سيدة لورتو فاماطت البتول عن عينهِ حجاب الغيب واثبتت له صحة دعوتهِ الاكليريكية ثم انتقل راجعاً الى قصر والدهِ الذي وجد في ابنهِ تحقيق امانيهِ وشرف بيتهِ وامرهُ بان يتجلس في عصبة المحامين المؤلفة في مدينة شامبيري فوافق اباه في طلبهِ ونال بذلك فخراً كبيراً في اعين مواطنيهِ لكنهُ تصدّى لوالدهِ بكل قوى نفسهِ اذ اراد ان يقرنهُ بالزواج مع فتاة من اعيان سافوية فكشف له ما عزم عليهِ من حفظ العفة ومن خدمة الله في الطغمة الاكليريكية وكان اسقف مدينة جنيفة السيد كلود غرنيار قد اوحى اليهِ الله بدعوة فرنسيس فقال لكهنتهِ لما رآه: «سيكون هذا رجلاً عظيماً وعموداً للكنيسة وهو الذي سيخلفني على كرسي اسقفيتي».

على ان والد فرنسيس رأى في عزم ابنهِ خيبة آمالهِ وكاد يتميز غيظاً عليهِ لولا لويس ابن عمهِ الذي حاول ان يخمد غيظهُ وذلك انهُ كتب سراً الى رومية وطلب لفرنسيس ان يقام رئيس كهنة وطنهِ وبذلك ينال من الشرف الديني ما يعوضهُ عن شرف الدنيا الذي يرغبهُ لهُ ابوهُ. فتمّ الامر على ما أمّلهُ وجاء الجواب من رومية موافقاً لطلبهِ وما لبث الاب ان رضي بما اصابهُ ابنهُ من شريف المقام ورفعة الشعب. الّا ان فرنسيس اتّعظ لسلامة النفوس من كل جاه عالمي او شرف ديني بيد انهُ وجد في جواب رومية اعلاناً بارادة الله فلم يقاومها

﴿الكاهن والرسول﴾ بادر اسقف جنيفة وخوّل فرنسيس رتبة الكهنوت في ١٨ كانون الاول سنة ١٥٩٣ وتلتهُ طائح شكراً لله الذي انعم على كنيستهِ بمثلهِ عاملاً. أما الكاهن الجديد فانهُ وقف حياتهُ لمجدهِ تعالى وحدهُ فقط ولخلاص النفوس المفتداة بدم ابنهِ الثمين. واوّل ما دعاهُ اليهِ اسقفهُ ان يخطب في كنيستهِ فكانت باكورة عظاتهِ ارتداد ثلثة من مشاهير الخطأة. فعرف الشعب نعمة الله اليهِ باقامة فرنسيس راعياً لنفوسهم فكان حيثما يظهر سواء كان في تقدمة الذبيحة ام في منبر الوعاظة او في كرسي التوبة يلتف حولهُ الجمهور ليرتشد بامثالهِ ونصائحهِ. وكان في كلامهِ من العذوبة والطلاوة والرقة ما يؤثر في سامعيهِ ويجذب اليهِ كل عواطفهم.

وبعد ان اكتسب قلوب اهل المدينة انتشر الى القرى المجاورة فكان إقبال الناس لاستماعه والتوبة على يديه كمثل اهل المدينة ما عزّى قلب الاسقف وجعله يلقي اليه مقاليد التدبير في انحاء ابرشيته

وكان قسمٌ من تلك الابرشيّة قد حمل عليه دُعاة البدعة البروتستانتيّة الجديدة وخصوصاً الشايعون لكلوين فنفثوا في السكّان سمّ ضلالهم ونفخوا فيهم روح العصيان على رؤساء الكنيسة فخلعوا المذاهب ونادوا بالاصلاح الموهوم وشنُّوا الغارة على كلّ من لم ينتمِ الى حزبهم فهدموا الاديرة وقتلوا الرهبان ودمّروا الكنائس وكسروا الصلبان وبقيت البلاد مدّةً نحو ١٠ سنة ساحة الحروب بين القوّات البروتستانتيّة وجيش امراء سافوية حتى انتهت مناوشاتهم بظفر الكاثوليك الّا ان البروتستانت بعد فشلهم ثبتوا في ذلك الصقع وافرغوا كنانة جهدهم في بثّ دعوتهم بين الاهلين. وكان اسقف جنيفة حاول غير مرّة الى ان يردّ تلك الخراف الضالّة الى الحظيرة فذهبت مساعيه سدًى بلا جدوى. ولمّا رأى ما نال فرنسيس من النجاح بين المؤمنين احيا رجاءهُ بخلاص اولئك الشاردين عن يده. ومع علمه بما ينتظره هناك من العناء والمشقّة بل من المخاطر الشديدة عرض عليه التبشير في تلك الجهات. وكان ذلك سنة ١٥٩٤ . اي السنة الثانية بعد ان تقلّدهُ الكهنوت

سار فرنسيس كرسول المسيح بلا سلاح الّا صليب ربّه وهو واثق بقدرته فقط في تلك الحرب الروحيّة التي حاول مناجزتها مع الجحيم. وكان بصحبته ابن عمه القانوني لويس دي سال فلمّا أشرف على اقليم شبلاي سرّح نظرهُ في انحائها واذا بآثار خراب صروح الدين الكاثوليكي قد بدت لعينيه جهارًا فذرف الدموع السخيّة وطلب من ربّ الجنود ان يسعفهُ في ما يتجشّمهُ من الاعمال التي ينوء عنها طاقتهُ

ثمّ توجّه توًّا الى مدينة طونون وهي معقل الاراطقة وحصنهم الحصين لم يبقَ فيها من مستقيمي الايمان الّا النزر القليل وحيث لم يجد كنيسةً يأوي اليها اخذ يعظ في ساحاتها فانتعش بحضوره قطيع الكاثوليك الصغير الّا انّ زعماء الشيعة الكلوينيّة اخذوا يسخرون منهُ ويلحقونهُ بألسنة حداد وينسبون اليه الغايات الدنيّة فلم يدفع القديس عنهُ شرّهم بغير ترس الصبر والوداعة وبذلك استمال قلوب الكثيرين وردّهم الى دين اجدادهم اما المتعصّبون منهم فازدادوا غيظًا وتآمروا عليه ليقتلوهُ وارسلوا من

ذويهم بعض الاشقياء. تلك الفئة الاثيمة فلمّا رآهم تقدم اليهم بكل جرأة مصرّحاً انهُ يستعذب ورود الموت في سبيل الدين فتحيّروا منهُ ولانت قلوبهم واغمدوا سيوفهم. وثبت القديس على بشارته غير هيّاب. واذ بلغ امير ساقوية ما يحدق بفرنسيس من الاخطار ارسل لهُ حرساً من الجند بيد انَّ القديس ردّهم قائلاً: «اني كرسول دخلت بلاد شبلاي وكرسول اتصرّف فيها» ومدة نحو سنتين لم يزل يطوف البلاد عرضها وطولها مقاسياً في رسالته ضروب المحن معرّضاً بنفسه لاصناف المهلكات والنوائب التي نجّاهُ منها الله بنوع عجيب بل منحهُ لتأييد كلامه ان يجري امام اعدائه معجزات لم يمكنهم جحودها. من ذلك انَّ والدةً ثكلى كانت حاملة جثّة صغيرها لتدفنها واذا بفرنسيس مقبلٌ صدفةً على طريقها فانطرحت عند قدميهِ صارخةً: «يا رجل الله ردَّ لي وحيدي» فتحنن عليها وصلّى هنيهةً ثمَّ مدَّ يدهُ الى الولد فاقامهُ حياً امام جماعة المشيعين للجنازة فمجّدوا الله واعترفوا بصحة الايمان الكاثوليكي. اما الكلوينيون فانهم نسبوا قمة هذا الى السحر فضرب العموم كلامهم عرض الحائط. وانتشر اذ ذاك الدين الكاثوليكي انتشاراً عظيماً. ولما اتى امير ساقوية ليزور ذلك الاقليم وكانت نيّتهُ ان يعاقب قوماً من الاراطقة الذين وقف على دسائسهم لم يرَ المبتدعون وسيلةً اقرب تنجيهم من ان يتوسّلوا الى فرنسيس ليشفع بهم عند الامير فقبل وردَّ الخير بدلاً من الشر فتعزّز الايمان المستقيم وفتحت الكنائس واقيمت الحفلات الدينية بكل أبّهة وجلال. وقد بلغ عدد الذين ردّهم فرنسيس الى الكثلكة فوق الستين الفاً وذلك بقوة تعليمهِ ومثال سيرتهِ فقط. وكان بين المرتدّين كثيرون من الاعيان كرئيس بلدية طونون والبارون داڤولي (Bᵒⁿ d'Avully) والفقيه الذائع الصيت بيار بونسه (P. Poncet) وكلهم من اركان الشيعة

وبعد ان انتصر فرنسيس على اضاليل البروتستانت في بلاد شبلاي وجيرتها عزم على اقتحام الهراطقة في حاضرة سويسرة جنيڤة المعدودة مذ ذاك الحين كعاصمة الكلوينيين فدعا علماءهم الى مجادلات علنيّة امام الشعب لبيان الدين الصحيح فافحمهم ولم يعودوا يتجاسرون على منازلتهِ بل كاد يردُّ الى الايمان اكبر زعمائهم تيودور دي باز (Th. de Bèze) فاقنعهُ ببطلان تعاليم كلوينوس وبصحّة معتقدات الكاثوليك لكنَّ ذاك الشيخ ثبت على ضلالهِ خوفاً من مشايعيهِ واستحياءً من اصحابهِ

﴿ الاسقف الجليل ﴾ قضى فرنسيس اربع سنوات في شبلاي ولم يشأ ان يبقى عملهُ سطحياً موقتاً فتفكّر في استدعاء الجمعيات الرهبانية ليداوموا على فلاحة حقل ربّ البيت وانتدب لذلك الرهبان الكبوشيين فوكل اليهم رعاية النفوس في مدينة طونون. ثمّ رأى من الواجب اللازب فتح مدرسة كبيرة لتهذيب ناشئة البلاد فالتجأ الى الرهبانية اليسوعية فاجابوا الى طلبهِ وما لبثت مدرستهم أن أتت باثمار جنيّة

وفي تلك الاثناء اراد امير سافوية شرل عمانويل ان يعاين نتيجة مساعي فرنسيس في بلادهِ فقدم الى شبلاي مع سفير البابا الى فرنسة اسكندر دي ماديشيس وكثيرين من علية القوم فحضروا الحفلات الدينية التي اقامها فرنسيس في اوّل الصوم من السنة ١٥٩٨ ولقايا تشبه لبهو اجلّ ما يُجرى في المعابد الكاثوليكية فاثلج ذلك المنظر صدورهم وبلّغوا الخبر الحبر الاعظم اقليميس الثامن الذي أثنى على همّة القديس اطيب الثناء.

ومثلهُ اسقف جنيفة كلود دي غرنيار فانهُ عظّم الله وشكرهُ على ذاك الرسول الفعّال الذي اقامهُ الله في ابرشيتهِ وردّد كسمعان الشيخ قولهُ: «أطلق الآن يا ربّ عبدك بسلام لان عيناي ابصرتا خلاصك». وفكّر من ساعتهِ ان يختار فرنسيس كخلفهِ على كرسي جنيفة. فما عرف القديس بفكر اسقفهِ حتى انطرح باكياً عند قدميهِ طالباً بإلحاح ان لا يُنيط عاتقهُ بهذا العبء الثقيل الّا انّ الاسقف كان دبّر الامر مع الكرسي الرسولي وسفيرهِ في باريس وصدّق طلبهُ امير سافوية مسروراً وارسل الحبر الاعظم البراءة المؤذنة بتسقيفهِ فلم يبقَ للقديس الّا ان يذعن لارادة الله وسيم اسقفاً نائباً ومساعداً سنة ١٥٩٨. غير انّ تأثرهُ بسبب هذا الانتخاب على خلاف رغبتهِ انهك قواهُ واوقعهُ بمرض عضال كاد يُودي بحياتهِ الثمينة وانّما الله سمع توسّلات شعبهِ الذي استمرّ بالصلاة طالباً شفاء رسولهم فشُفي بعد قليل على الرغم من قطع الرجاء من شفائهِ. وما فتئ ان عاد الى اعمالهِ الرسولية

وارسلهُ اسقفهُ الى رومية لحلّ بعض المشاكل فاستقبلهُ البابا اقليميس الثامن كاحد اولياء الله واطرأ بفضائلهِ الرسولية وامتحن علمهُ الواسع امام اهل البلاط الحبري وعلماء عاصمة الكثلكة فلم يدع حسن اجوبتهِ زيادة لمستزيد. وهناك اجتمع فرنسيس بانوار الكنيسة كالطوباوي بلرمينوس والكردينال بارونيوس والمكرم انسنا

الاوراتوري وعاد الى ساڤوية مكرّزاً في طريقهِ زيارة السيّدة لورتُو

واذ نشبت في تلك الغضون الحرب بين فرنسة واميرِ ساڤوية كان القديس كالحلقة الذهبية بين وطنِ ومملكة فرنسة فعرف فضلهُ هنريكوس الرابع ومنحهُ ما شاء لصالح ابرشيّة انسي وبلاد شبلاي

وكان القديس اذا وجد وقتاً من الفراغ يشتغل بالتأليف فوضع حينئذٍ كتابهُ الثمين في المجادلات البروتستانيّة الذي أبى المبتدعون من تفنيدهِ

في السنة ١٦٠٣ توفي اسقف جنيفة كلود غرنيار وبموتهِ عادت حقوق تدبير الابرشيّة الى فرنسيس فجدّد عزيمتهُ على ان يخدمها اخلص خدمة بعد ان كرّسها للبتول العذراء في يوم عيد حبلها الطاهر من الدنس وهو اليوم الذي استلم تدبيرها. ولعمري انهُ قد قام بوعدهِ اتمّ قيام فساس تلك الابرشيّة الواسعة على مثال جهابذة الاساقفة الاوّلين كالقديسين يوحنا فم الذهب وباسيليوس وامبروسيوس واوغسطين مزيّناً شخصهُ الكريم بكل الفضائل التي شرّفت اولئك الكرام فعطّر كل البلاد بشذاها الطيّب

وكان اوّل ما فكّر فيهِ ان يزور تلك الابرشيّة الواسعة حتى قراها ومزارعها ويُصلح كلّ خللها ويداوي اسقامها. فكان الشعب يتراكض اليهِ حيثما سار ويرى في كلّ حركاتهِ وسكناتهِ القداسةَ التامّ بسيرة السيّد المسيح وكانوا خصوصاً يتزاحمون في الكنائس لاستماع مواعظهِ وارشاداتهِ المملوءة علماً وتقى. ولمّا سار الى باريس لمواجهة الملك هنريكوس قامت المدينة وقعدت لحصولها على زيارتهِ وتنافست كنائس تلك العاصمة في دعوتهِ الى الوعظ فيها تباعاً فردّ الى الايمان قوماً من سادةٍ وسيّدات كانت البدعة البروتستانيّة اصطادتهم بحبائلها

وقد شملت عناية فرنسيس في زمن اسقفيّتهِ كل طبقات رعاياهُ صغاراً وكباراً فقراء واغنياء نساء ورجالاً اكليروساً وعالمين خصّ كل قسمٍ منهم بما يحتاجهُ من المساعدات الروحيّة والزمنيّة وصرف نظرهُ خصوصاً الى الاخاء. التي كان عدوّ الجنس البشري زرع فيها زؤانهُ ليقتلع اصولهُ الفاسدة. وقد اظهر الله غيرهُ سرّهُ رضاهُ من اعمالهِ بما كان يسكب عليها من سوابغ النعم وفيض البركات

وكان لساقفة الابرشيّات المجاورة لابرشيّتهِ يدعونهُ لمساعدتهم في تقديس نفوس

رعاياهم بالرياضات والوعظ والتعليم فكان القديس يجيب بطيب الخاطر الى دعوتهم

ومن الآثار المعدودة المنسوبة اليهِ تحريضهُ للمؤمنين على المواظبة على الاسرار المقدّسة ولاسيّا المناولة المتواترة مناهضاً بفعلهِ البدعة الجنسنيّة وتعاليمها الفاسدة. وانما حملهُ على ذلك خصوصاً تعبّدهُ لقلب يسوع الاقدس الذي كان مزمعاً ان يكشف عن قريب كنوزهُ غير المتناهية لاحدى راهبات رهبانيَّة الزيارة التي اهتمّ بانشائها كما سترى. وترويجاً لعبادة القربان القائم في الخفاء ايّدشيّة شركات جعل غايتها اكرام السيّد المسيح في قربانهِ. كما اهتمّ في امكنة اخرى بتأليف اخويّات لخدمة البتول الطاهرة. فتبّرت كلّ هذه المشروعات وجه ابرشيّتهِ التي عُرفت منذ ذاك الحين بسباقها في ميدان الخير والصلاح

والى فرنسيس دي سال يعود الفضل في انشاء رهبانيَّة زيارة مريم العذراء المشار اليها والتي اولت كنيسة الله شرفاً اثيلاً بفضائل القديسة جان فرنسواز دي شنتال التي شاركتهُ في انشائها سنة ١٦١٠ وبفضائل عدد لا يُحصى من المترهّبات فيها خصوصاً القديسة مرغريت ماري ألاكوك تلميذة القلب الاقدس وناشرة عبادتهِ فالقديس فرنسيس وضع لهنّ قوانين مفعمة حكمةً وتُقى. منهنّ في لبناننا دير شهير في عينطورة قد سطّر احد الافاضل الآباء العازاريين تاريخهُ في المشرق ٤١ [١٩٠١] : ٧٠٤—٧١٠)

واضاف فرنسيس الى اهتمامهِ بالنفوس عنايتهُ بتهذيب العقول فهو اوّل من انشأ نادياً يجتمع فيهِ طالبو الآداب ليتباحثوا في المعارف والعلوم وقد دعا ذلك النادي «منتدى زهر الآداب» كان يقصدهُ الشبّان لتثقيف عقولهم في صنوف العلوم كالفقه والفلسفة والرياضيّات والطبيعيّات فتخرّج منهُ عدّة رجال عزّزوا الآداب في مواطنهم

يصعب علينا في هذه الصفحات القليلة ان نعدّد كلّ اعمال القديس فرنسيس دي سال. بل ان نلمّ بها الماماً فنكتفي بالقول انّ في العشرين سنة من اسقفيّتهِ احاط نظرهُ بكلّ الاعمال الشريفة والمساعي الصالحة والمشروعات الخيريّة لليتامى والفقراء والعجزة والمنكوبين بالاوبئة والحروب والمجاعات فاطلق عليهِ معاصروهُ اسم الراعي الصالح والحبر الكامل والقديس الحكيم ومغناطيس القلوب لا يقصد في كلّ اعمالهِ غير حبّهِ تعالى ومجدهِ الوحيد يحيا لله ومع الله ويتوق الى الموت ليحظى بربّهِ الى الابد

وقد استجاب الله دعاء عبده فمات شهيد الواجب وذلك انّ اميره طلب اليه ان يصحبهُ في سفره الى فرنسة لمواجهة الملك هنريكوس فاجاب الى ملتمسه مع ما أُصيب به من ضعف القوى وطارئ ولم ينقطع في طريقه عن خدمة النفوس والاعمال الرسولية حتى اذا بلغ مدينة ليون خارت قواه تماماً ثم أُصيب بفالج فالتمس ان تُعطى له كل اسرار البيعة فاقتبلها بكل هدو واخذ يردد آيات الشوق الى الله ورغبة التمتع بمشاهدته واسلم الروح وعلى لسانه اسم يسوع المجيد وذلك في ٢٨ كانون الاول سنة ١٦٢٢ وهو في السادسة والخمسين من عمره وكانت وفاته في دير الآباء اليسوعيين

كان فرنسيس قد اجترح عجائب عديدة في حياته على انهُ في موته بشفاعته عند الله قد اصطنع عدداً اوفر من الآيات وقد فحصها الكرسي الرسولي قانونياً فاعلن قداسته البابا اسكندر السابع سنة ١٦٦٥

﴿تآليفهُ﴾ لمن العجب العجاب انّ فرنسيس مع كثرة اشغاله وجولانه في البلاد وتدبيره لاعمال مختلفة قد صنّف تآليف يبلغ مجموعها عشرين مجلداً بقطع كبير وصفحاتها تنيف على اربعين الفاً. فبعض هذه المصنفات عقائدية تبحث في حقائق الدين ومنها ادبيّة في الفروض والواجبات. ومنها وعظيّة كثيرة العدد. ومنها جداليّة لتفنيد اضاليل المبتدعين. وبعضها نسكيّة في كلّ فروع الكمال المسيحي والرهباني والكهنوتي كتأليفهِ في محبة الله وكتابه في الصليب. وقد اشتهر خصوصاً كتابه المعروف بمدخل العبادة الذي عرّبهُ الاب بطرس فروماج اليسوعي فتكرّر طبعهُ في رومية وفي حلب وفي مطبعتنا الكاثوليكيّة لرغبة الناس في تعاليمه الخلاصيّة

وقد دفعت هذه التآليف العديدة الكرسي الرسولي على نظم القديس فرنسيس دي سال في جملة معلّمي الكنيسة وذلك ببراءة نشرها الطيّب الذكر بيوس التاسع وبه اصبح فرنسيس متوّجاً باكليلي التداسة والملفنة

فالشكر كل الشكر للكنيسة المقدّسة التي ألفتت انظارنا في هذا العام الى هذين الكوكبين المنيرين ليعرف ابناؤها مجد اجدادهم ويجروا على امثالهم فيحيوا فضائلهم ومن اشبه اباهُ ما ظلم

خواطر مصيّف في لبنان

ملحوظات في الحالة الروحية في الجبل

لكاتب الاديب يوسف افندي معوَّض الماروني نزيل القاهرة

بعد ان قضيتُ مدةً ثلاثة شهور من الصيف الماضي في لبنان المحبوب وتحت سمائه الصافي وتمتعتُ بهوائه المنعش، وارتويتُ من مائه البارد العذب، وعشتُ بالامن السائد فوق هاتيك الجبال وبين منعطفات الاودية وفي ما انبسط من السهول، وتمتعتُ بالراحة والطمأنينة اللتين يشعر بهما من كانت قد انهكته جلبةُ المدن ومتاعب الاعمال تمنى لو طالت مدة الصيف وسمح له عمله ان يبقى هناك مدةً اطول ولاسيما في تشرين الاول حيث يكثر العنب ويطيب التين وتصبح المياه اكثر عذوبة ولذا تقول العامة: «الي ما شبع من حليب امه يشبع من مية التشارين، وما بين تشرين وتشرين صيف ثاني». ولكن من الواجب علينا مبارحة تلك البلاد الجبلية الى حيث تنتظرنا الاشغال وبنا ما بنا من الشوق والميل الى لبنان بل نحن نحسد سكان لبنان على ما خصهم من النعم ونتعجب كل العجب من ان بعضهم تولَّد فيهم حبُّ المهاجرة وتركوا هاتيك البقاع التي يغبطهم بنعمتها سكان البلاد المجاورة

بعد كل هذا احببتُ ان اكتب كلمة في ما شاهدته من التغيُّر والتأخر في الامور المتعلقة بالواجبات الدينية. وان قيل ان هذا الامر ليس من شأني لاني لست اكليريكياً ولا كاهناً أجبتُ ان الغيرة على الدين فرضٌ على كل احد لا يُعفى منه لا الاكليريكي ولا العالمي

وارى اقسم مقالي الى قسمين: ١ً حالة المعابد والكنائس في الجبل. ٢ً حالة الشعب الروحية

اولاً حالة الكنائس في الجبل

يظهر ان الخراب المادي الذي انزلته الحرب بالبلاد كان له القسم الوافر من

التأثير على الكنائس ايضاً . فانك لو دخلت بعض الكنائس في لبنان لا تشاهد فيها النظافة الواجبة لبيت الله ، ولا تشعر فيها بالخشوع الذي يجب ان تشعر به عند دخولك الى معبد ما ، بل يمسّ الناظر بوحشة ونفور لما يقع عليه نظره من عدم الترتيب وعدم الاهتمام في تنظيم الهياكل وتزيينها بل يرى نسيج العناكب معقوداً سرادقات في منعطفات الخبايا والزوايا ، والمقاعد مبدّدة على غير ما نظام . وهنا قلتُ عندما دخلت احدى الكنائس وشاهدت المقاعد فيها مبعثرة ومقلوبة وبعضها مكسّر : «ما احسن ايام ما كانت الناس تركع على الارض العارية وبعضهم يجثو على «طرّاحة» صغيرة ، ايام كانت الشرعية تفصل بين الرجال والنساء ولم يكن للمقاعد شأن . . . »

لاح لي ان في بعض الجهات الطهارة الاكرام والعبادة يكثرون من وضع صور القديسين بعضها بجانب بعض على درجات المذبح العليا يمنة وشمالاً ، ويا ليتها كانت موضوعة وضعاً مرتباً ، اذ بينها الكبيرة والصغيرة والتي من دون إطار والمقطوع منها جزء والمكسور قطعة من زجاجها الخ الخ . ولست اجد داعياً ولا مسوغاً لرصف الصور على جانبي المذبح . وقد شاهدت وانا اتجوّل في انحاء الجبل في كل كنيسة عدداً كبيراً من الصور معلّقة على الجدران لكن بطريقة خالية من سلامة الذوق ولطافة الترتيب مما لا يهيب بالقلب الى الخشوع . والغريب من هذا انهم في بعض الامكنة يدعون امام الصورة او التمثال كل ما يُقدَّم له من النذور مهما كان نوعها . نعم لا مانع من وضع ما يقدمه المؤمنون من الدمى والادوات والحلى في علبة زجاجيّة بجانب الصورة المقدمة تلك هدايا للقديس صاحبها اظهاراً لعاطفة الشكر على النعم واستدراراً لغيرها ، ولكن ربطُ الشمعة مثلاً في ذراع التمثال او تعليق صرّة البخور وما شابهها بجانبه ليس من سلامة الذوق ولا من امارات التمدّن

وبعض الكنائس ليس لها موقف (سكرستيّة) إما بسبب الاهمال وإما للفقر وعدم المقدرة على بنيان الموقف ، فتجد آنية التقديس وأدوات الزينة مبعثرة مشتتة هنا وهناك وقد علاها الغبار واصبحت في حالة لا تليق بخدمة الجلال الالهي . اما كتب الصلوات الطقسيّة فلا تسل عن حالها ، منها الخلع المتطايرة اوراقه والذي نخر اوراقه العثّ وكلها مشكّة على المنضدة التي يدعونها «بالقرّايّة» فوقها وتحتها وقد عبثت بتلك الكتب ايدي الصبيان فاتلفتها

اما عن ملابس التقديس واغطية المذابح فالسكوت أولى لانّ الكلام عن هذين الشيئين لمؤثر جداً. اخبرني أحد الكهنة الاجانب الذين جاؤوا الى لبنان في الصيف الماضي قال: «ذهبت صباح يوم لاتلو قداسي في كنيسة القرية فما اشدّ ما كان عجبي اذ لم اجد بين ملابس التقديس «كوتة» نظيفة تصلح لان البسها ،ناهيك بالقطع الصغيرة كالتصيف والصمدة والمنشفة، ولكن ، ربك رحيم ، كنت جلبت معي كوتة خاصة بي فارتديتها وقطعُ التنشيف معي اينما توجهت فلم احفل بسواها . واذ رأيت ما يعلو اغطية المذبح من الاقذار عولت على ان اجلب معي في اليوم التالي غطاء افرشه حين قداسي ، وعلى هذا النحو سرتُ حتى بارحت القرية .»

هذا جزء من كثير مما يشاهد في كنائس لبنان من عدم الاعتناء بالنظافة والترتيب . وقولي هذا يتناول كثيراً من قرى الجبل . ولست انكر ان هنالك كنائس يسود فيها النظام وتتجلى فيها النظافة غير انّ حالة كثير غيرها لمّا يستدعي الاسف

ولا يقولنّ القارئ: «ان الفقر سبب كل علة» . كلّا يا مولاي: الفقر والحاجة شيء والاهمال وعدم الاعتناء شيء آخر . فاذا كنت فقيراً ولا يمكنك ان ترتدي ثوباً ثميناً فالثوب البسيط الرخيص الثمن الذي عليك تقدر ان تحافظ على نظافته بان تتعهده بالغسل والتنظيف من آن الى آخر . وعليه فليسمح لي كهنة الرعايا والمتولون الوكالة على الكنائس ان اقول لهم ان ليس لهم ولا ادنى عذر في تركهم الكنائس على تلك الحال التي تجعل الاجنبي يسخر بنا ويهزأ بآدابنا

سمعتُ شبان احدى القرى يتحدثون في جمع مبلغ من النقود يضيفونه الى ما في صندوق الكنيسة من المال ليشتروا جرساً كبيراً عوض الجرس الحالي . فنظرتُ الى الكنيسة في داخلها فرجعتها محتاجة الى كثير من الامتعة التي هي اكثر اهميةً من تكبير الجرس . اي نعم اني قد لاحظت في جهات كثيرة من لبنان كنائس يعلوها جرس قنطاري وما ينيف عن القنطار وبعضها ذات جرسين وثلاثة ولكنها في الداخل خالية من ادوات الزينة مفتقرة الى آنية تليق بالتقديس وليس من ينظر الى هذه الحالة السيئة ! اذاً ليس للفقر مجال في ما نحن في صدده

فعلى اللبنانيين اذاً ان يمعنوا النظر في الحالة التي صارت اليها كنائسهم وكما انهم

يهتمون في تحسين حالة المصايف ليؤمّ الى جبالهم الاجانب فيجدوا ما تطيب اليه نفوسهم من وسائل الراحة هكذا يجب عليهم ان يُعنَوا بتنظيف كنائسهم وتزيينها بكل ما يقدرون عليه فان النظافة والنظام يسدان ما هنالك من النقص في الادوات والتحف الثمينة. ان بين المصيّفين الاجانب كثيرين ممن هم عريقون في الدين يقومون بأتمام واجباتهم نحوه في اوانها. فاذا جاؤوا الكنيسة ووجدوها على الحالة التي وجدنا فيها كنائس بعض قرى لبنان هذه السنة فما يقولون؟ واية افكار تخطر لهم وهم يعلمون ان الموارنة راسخو القدم في الكثلكة! أعلى هذه الحالة تكون معابد الكاثوليك؟...

ثانياً حالة الشعب الروحية

اردنا في المدة التي اقمناها بين ظهراني اللبنانيين وتجوّلنا في انحاء الجبل ان ننظر في الاعمال التقوية والواجبات الدينية وما صار اليها امرها بعد هاتيك الحرب الطاحنة التي نال لبنان من كوارثها مع بُعده عن ساحاتها ما اصاب غيره من البلدان الاخرى حيث كانت الجيوش تتطاحن وتجتاح الارض بخيلها ورجلها، فماذا وجدنا؟ رأينا والاسف ملء الفؤاد ان الحالة الدينية في بعض قرى الجبل منحطّة واي انحطاط! لاحظنا ان الكثيرين ما عادوا يهتمون لحضور القداس ايام الآحاد والاعياد وان هم ساروا الى الكنيسة في مثل هذه الايام فعلى سبيل العادة فقط. لم نجد سوى النزر اليسير من اولئك يحترمون المعابد! ولم تعد للكهنة حرمةٌ واعتبار لدى الشبان بل لدى الكهول والشيوخ ايضاً. وقليلون ايضاً بل قليلون جداً هم الذين يتقربون من منبر التوبة وبالتالي من المائدة السرّية وجلّهم ان لم اقل كلهم من النساء. ولم يكن من يتناول التناول اليومي تكراراً سوى بعض الفتيان والفتيات من تلامذة المدارس الذين ما برح لارشاد ونصائح رئيس المدرسة صدًى في قلوبهم يدفعهم الى اقتبال سرّ المحبة العظيم. واما الرجال والشبان والاناث في القرى فقد صار قسمٌ منهم الى حالة سيئة من الفتور واهمال الفروض الدينية. لم نجد في جهة مصيفنا في كسروان سوى اخويتين لقلب يسوع الاقدس وبعض اخويات الميتة الصالحة هي اسم لغير مسمّى اذ انها لا تضمّ الا بضع عجائز النساء. اللواتي اذا اجتمعن لتلاوة الفرض لا يعرفنَ كيفية ذلك

سرورنا اي سرور لما امر غبطة السيد البطريرك بتكريس الطائفة المارونية للقلب الاقدس بنوع احتفالي وبتجديد هذا التكريس سنوياً ومع ذلك لم نجد في قرى لبنان المارونية اخويات منضمة تحت لواء القلب الالهي تُعنى باقامة ساعة السجود التكفيرية ويتقدم افرادها من المائدة التعويضية في الجمعة الاولى من كل شهر · ليس شيء من ذلك في الجهات التي عرفناها من لبنان · وقد كان في بعض قرى كسروان قبل الحرب اخويات على اسم الحبل بلا دنس وكانت تضمّ عدداً غفيراً من الرجال والنساء فجاءت الحرب واكلت الاخضر قبل اليابس فانفرط عقد تلك الجمعيات التقوية والآن وقد عادت المياه الى مجاريها واضحت الناس في بحبوحة من النعم قد خلقنا مع الاسف انه لم يوجد الا قليلون اهتمّوا باعادة تنظيم الاخويات والجمعيات التي كانت فيما سلف من الايام تنشر الثمار اليانعة في حديقة الدين في لبنان ! · · ·

والذي زاد في استغرابنا انما هو الاهمال الذي استولى على بعض آبائنا الكهنة خدمة الرعايا في لبنان · كنا نتمنى ان نحضر زياح القربان الاقدس ايام الآحاد والاعياد فلم نكن نحصل على مشتهانا لانهم ابطلوا هذه العادة ولم يعودوا يحتفلون بها

انه من جملة اوامر السيد البطريرك لكهنة الرعايا ان يقيموا الصلاة الفرضية جهورياً في مساء كل احد وعيد بطالة ولاسيا في مساء الاعياد الكبيرة · وقد كان قبل الحرب لبعض القرى شهرة عظيمة بهذا الامر من حيث اقامة الصلوات الطقسية في اوقاتها مساء العيد وصباحه · اما اليوم فكما قلت سلفاً ان كتب الصلوات ليس لها من يفتحها وقد نخرها العث وعلاها الغبار وحاكت عليها العناكب نسيجها · واما الاحتفال بالعيد عند اخواننا اللبنانيين فقائم بقرع الجرس ابتداء من قبل ظهر بيوم العيد حتى ظهر اليوم التالي بنوع متواصل على وجه التقريب حتى تصمّ الآذان ويشمئز السامعون من صوت الجرس الامر الذي لا يجري في جهة ما من بلاد النصارى سوى لبنان · اي نعم ان الجرس اصبح لعبة الشبان · ومما دلني على استيلاء الشبان على جرس الكنيسة انهم قبل دنوّ يوم العيد يتقاطرون سطح الكنيسة وهناك يطلقون الجرس مغيّرين له تركيبه او ينقلون «قرمته» او يحلّون سير مضربته والامور اخرى يعرفونها هم حتى يصعب دقّه ولا يعود «ينبع» الا بشق النفس وبكبيع منا · · ولمَ كل ذلك ؟ لكي يختبروا بعضهم بعضاً فيعرفون من هو القوي الصنديد بينهم وبين شبان القرى

المجاورة الذين يتصدون خصيصاً (التجربة الجرس)

وعليه فلم يعد الجرس جزءاً من الكنيسة يُقرَع لاستدعاء الشعب بل بات الموبة في ايدي الشبان وليس ثمّت رادعٌ يردع

وكم من المرات كان الجرس سبباً للنزاع والقتال بين هؤلاء الشبان المتهوسين فأدّى بهم الخصام الى اشهار السلاح واطلاق الرصاص وتدنيس الكنائس بالشتائم والالفاظ البذيئة وتحويل العيد الى مأتم يسود فيه العويل والنحيب. ولنا بحوادث مشغوت وريفون وقتيل كفرتيه منذ سنتين عبرة وذكرى!..

ولما شاهدت هذا الامر العائب سألت: أما من احد ينهي هؤلاء الاغرار عن غلهم؟ ولم لا يوقفهم عند حدودهم كاهن الرعية؟ فأجابني رجل مسن: لم يعد يؤثر في شبان اليوم لا امر الكاهن ولا نصيحة كبير، فحذار من ان يسمك احد منهم بيبنك... (قلت) فما دام الامر على هذا المنوال لم يبقَ الا ان تتداخل الحكومة في الحالة وتمنع بقوة رجالها (الامنا،) الشبان من قرع الجرس في الاعياد الا في اوقات استدعاء الشعب الى الكنيسة فتكفي القرية مغبّةَ دق الجرس ونتيجته الوخيمة.

والآن تُرى أتوجد طريقة لاصلاح الفاسد وتقويم الاعوجاج؟ وهل من دواء لهذه الادواء الدينية والادبية؟ أجل، ان الحق لم تتمحص بعد والـداء ليس بالزمن فمن السهل استئصاله واصلاح ما افسد. وما الدواء الّا نفخ روح الدين والذكاء نارو في القلوب الفاترة بتأسيس الاخويات الدينية للرجال والنساء، وانشاء الجمعيات التقوية للشبان والعمل على ترقية الاخلاق بافتتاح نادٍ ادبيٍ في كل قرية كبيرة يختلف اليه رجالها وشبانها حيث يلقي عليهم كاهن عالم او شاب متعلم محاضرات في المواضيع التي من شأنها ان تميل بهم عن اللهو والاباطيل الى توسيع معارفهم فيقلعون عن تلك عاداتهم الغير المستحسنة ان لم تقل السيئة، وقد لا تخلو قرية، والحمد لله، من عدد غير قليل من هذه الناشئة الناهضة فعلى مثل هؤلاء مهمّة اصلاح اخوانهم وتقويم معوجهم

وهنالك عادة اخرى قبيحة منتشرة الّا انها قديمة العهد فقد عرفناها من قبل الحرب ألا وهي اجتماع الباعة على اختلاف انواعهم في عيد شفيع القرية فيفرشون بضاعتهم وصناديقهم في ساحة الكنيسة وامام ابوابها وبينهم بائع الحلوى وبائع

الاحذية وبائع الفاكهة وصاحب اليانصيب واللاعب «بالشمر» . والذي نعرفه ان هذين النوعين ضرب من المقامرة وقد حرّمتها الحكومة المصرية فمن يُضبَط وهو حامل ورق اليانصيب او كيس الشمر ، ينَلهُ الجزاء الصارم . فما بال الحكومة اللبنانية قد غضّت الطرف عن ذينك اللعبين ? قلتُ ان هؤلاء الباعة يحتشدون امام ابواب الكنيسة فيضايقون المارّة والزائرين ويحوّلون ساحة الكنيسة الى سوق عمومية ويمسي العيد اذ ذاك موسماً تباع فيه السلع لا عيداً للقديس شفيع القرية ولا فرصةً لتقديم الاكرام له وطلب شفاعته . ولن اكون مبالغاً إن قلتُ ان اصوات الباعة ومناداتهم كانت تتغلب على اصوات المرتلين القائمين بخدمة القداس ! لعمري انه يلزم هؤلاء الباعة تلك المقرعة التي جرّدها السيد المسيح على زملائهم في هيكل اورشليم قائلاً لهم : بيتي بيت الصلاة . وانتم جعلتموه مغارةً للصوص !

امام كل كنيسة في القرى خلا باحتها القريبة ساحة كبرى خارج السور . أفــلا يحسن باولئك البائعين والتجار المتنقلين ان يبسطوا سلعهم هناك بعيــدين عن ابواب المعبد ? . ومما يستدعي العجب انه لم يوجد بين اكابر القرية واحد استفزّته الحميّة الى ابعاد تلك الغوغاء والضوضاء عن الكنيسة اقلّه ساعة الصلاة !!!

فالعمل على إبعاد هذا الحيف عن امكنة العبادة انما هو من واجبات الحكومة ايضاً بان تأمر رجالها بابعاد الباعة من حرش الكنيسة محافظةً على كرامة المقام وإراحة للمصلين والزائرين كما ترى في البلاد المتمدنة حتى في مصر اذ ترسل مديرية الشرطة ايام الآحاد والاعياد نفراً من رجالها يقف امام كل كنيسة ومن واجباته المحافظة على السكون ومنع الغوغاء من الدنوّ من المكان

وهنا قبل ختام هذه العجالة لي كلمة بعد في الطقوس الكنائسية واعني بها المارونية لانها الاعمّ في لبنان . فقد حضرت كثيراً من الاحتفالات البيعية والقداسات الحبرية والاحتفالية غير الحبرية فلم اشاهد في بعضها ما يسمّى وحدة الطقوس

ان للموارنة مآثر الطقسيات منشورة بالطبع غير انهم لا يتبعون في احتفالاتهم بنصّ هذه المآثر بل ترى منهم من يعمل ما يتراءى له ولا يبالي بترتيبات الطقس حتى صار لكل كنيسة او لكل قرية طقس ورتب خاصّة بها فامتحت بذلك وحدة الطقوس

اما المرتلون الذين يقومون بخدمة الاحتفالات فغاية ما يُقال عنهم انهم «بابل بينها». لم اسمع في بعض الكنائس مرتلاً متقناً للانغام الكنائسية وليس ثمّت اتفاق بين بعضها في الانشاد بل امسى الترتيل البيعي فُرصة للقراءة والمدّعين لاظهار براعتهم ولا رابطة لإنشادهم بل «اصبح كلّ يدّعي في معرفة الانغام الامامة ويلبس العمامة» (مقدمة قسطاس الزامير للخوري ج. عزيز) فاختلّ بذلك نظام الطقوس وذهب قوامها ورونقها لاسيما بما يخترعه المرتلون من الاناشيد ذات الالحان العالمية. وقد بلغني ان في غزير جوقةً مؤلفة للقيام بانشاد خدمة القداس الالهي فقصدت استماعها لاختبار مقدرتها في هذا الفن فوجدتها لا بأس فيها على انه يلزم افراد تلك الجوقة شدّة الاعتناء في التوقيع وان يجتنبوا عن التطرف في انشاد بعض المقالات موقعةً توقيعاً عالمياً. بيد ان هذه الجوقة تدلّ على وجود بعض الاهتمام في الطقوس وقد تبشر بنتيجة حسنة اذا ما اقتدى بها سائر القرى وتألف في كلٍ منها فرقة من الغلمان والشبان للتمرّن على الالحان الكنائسية بطريقة مضبوطة مع المحافظة على الروح الطقسية

وخلاصة القول ان الطقس الماروني آئل الى الاضمحلال بعد التبلبل اذا لم يتعهده الرؤساء بعناية خاصة فيعملون على تعليمه في المدارس تعليماً كافياً نظير كل علم من العلوم وكما ان المدارس تخصص جائزة لكل بارع في علمٍ ما هكذا فلتخصص جوائز للمبرّزين في معرفة الطقوس البيعية واتقان الحانها

هذا ما عنّ لي نشره مما شاهدت في الوطن العزيز من التأخر في الامور الروحية. وعليم هو الله باني ما قصدت في كلامي الانتقاد محبة بالانتقاد ولا التشفي من غيظ وكره فانا مارونيّ صميم محب للمارونية غيور على سمعتها وهذه هي العاطفة الوحيدة التي دفعتني الى الكتابة اظهاراً للنقص والعيب حتى اذا بانا وعُرف مكانهما امكن اصلاحهما، والرب عليم بالسرائر

«المشرق» نثني على كاتب هذه المقالة ونستلفت انظار اللبنانيين عموماً والكهنة خصوصاً ليتدبروها بالاً فيسوءنا أن يكون لبنان مع جلالة طقسه وايمان اهله موضوعاً لانتقاد الاجانب والمبشّرين في ربوعه من حيث قلّة اكتراثهم لامور دينهم ونظام كنائسهم وحسن قيامهم بالرتب الطقسية. أفليس الأولى ان تكون بيوت الله انظف واحسن منظراً من بيوتهم. فليحرص الآن اهل لبنان على شرفهم وفخرنا وليحبّهم قبل كلّ شيء في كل ما يرتبط بخدمته تعالى وكرامة دينهم وفقاً لما ورد في المجمع اللبناني ومناشير البطاركة الأجلاء من الترتيبات الطقسية

دفائن الخزائن

لجناب الاديب حبيب افندي الزيّات (تابع)

٢ وصف للمذاهب الملكيّة والنسطورية واليعقوبيّة

لثاودورس ابي قرّة الملكي وعبد يشوع الصوباوي النسطوري وابي رايطة اليعقوبي

يرجّح كل منهم مذهبهُ دون اعتراض على الآخر

في المكتبة الوطنية بباريس مجموع موسوم بالعدد ٨٢ مخطوط في ٢٠٠ ورقة ناقص من اوله وآخره وبالتالي غفل من التاريخ كُتب على الصفحة الاولى منهُ بخطٍ احدث من خطوط سائر الكتاب ما نصهُ بلهجتهِ العامية : « كتاب مجموع من اقوال الانبياء من تفسير التوراة من ابو البركات المتبر ومن آبائنا الرسل ومجادلات في التوحيد لايشوع النسطوري وابو قرة الاسقف الملكي وابو رايطة اليعقوبي في الاعتقادات والملل ومن الشيخ ابو الفتح عبدالله بن الفضل وغيره »

وبدء الكتاب : « قال الله لنوح اعمل لك سفينة من خشب ساج قدّام قاين وقومه لعل يرجعوا عن خطاياهم وعن عصيانهم الاشقين فيه ... » وبقية الكتاب بخط القدم لغاية صفحة ٧٢

وفي الورقة ٧٣ «مختصر مسائل واجوبة تكلم بها طيموثاوس الجاثليق في مجلس امير المؤمنين المهدي مرات متفرقة» وهي ٢٧ مسئلة في ٢١ ورقة (٧٣—٩٤) وقد نشرها المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٣٥٩ ; ٤٠٨)

وفي الصفحة (٩٨—١٠٠) مقالة في الردّ على المنجّمين للشيخ ابي الفتح عبد الله بن الفضل الانطاكي ويتلوها كلام له ايضاً «فيما يظهر في صدور الامور عن مسرّة الله وسياسته مع تخليهِ» (ص ١٠٠—١٠١) يتبعهُ فصل وجيز في تأويل قوله «ابي الذي هو ابركم» وبعد ذلك «نسخة رسالة كتبها مار ايليا مطران نصيبين» للوزير ابي القاسم الحسين بن علي المغربي في نوع الثالوث والتوحيد والتجسد (ص ١٣٨—١٤٤) ناقصة من آخرها . وختام المجموع «كتاب السياسة لارسطاطاليس» (ص ١٥٩—٢٠٠) غير كامل

واهمّ ما في هذا المخطوط وصفٌ للمذاهب الملكية والنسطورية واليعقوبية

(ص ٩٠-٩٧) غريب في بابه ولا نظن انه طُبع قبل اليوم . نتقصد بكسره خاصةً الاعانة على جمع آثار لسقف حرّان ثاودوروس ابي قرة الملكي . وهذا نص ما جاء فيه بالحرف الواحد

[illegible]

قيل ان عبد ايشوع المطران النسطوري وابو قرة الاسقف الملكي وابو رايطة اليعقوبي اجتمعوا عند احد الوزراء فطلب منهم ان يصف كل واحد منهم اعتقاده بقول موجز ولا يعترض احد منهم على صاحبه

﴿وقال النسطوري﴾ : «اقول ان المسيح شخصان شخص لم يزل مولوداً من الآب مساوياً له في طبيعته وجميع صفاته . وشخص انسي مقتضَب من مريم مساوٍ لجميع الاشخاص الانسية ما خلا اختلاف الخطية وان اسم (٣،ز،و ٤) المسيح لا يقع على احد الشخصين دون الآخر بل عليهما جميعاً فالمسيح شخصان وطبيعتان إله وانسان . والبرهان على ذلك انّا وجدنا الاشياء اذا اقترنت كانت لا محالة واقعة على جوهر او عرض ولا يخلو ذلك الوقوع ان يكون عامياً او خاصياً . وقد اتفقنا ان المسيح ليس بعرض ولا محالة انه جوهر . ووجدنا الجوهر ليس يخلو ان يكون عامياً او خاصياً فان كانت الاسماء الواقعة عليه وقوعاً مختلفاً من إله وانسان واقعة من طريق جوهر عامي لزم ان يكون اسم المسيح يعم الآب والابن والروح القدس (٣،ز،و ٤) ويعم الناس جميعاً . ولمّا استحال ذلك ثبت ان الاسماء المختلفة انما وقعت على ذات الاشخاص . وهذا يلزمه انه جوهران شخصان خاصيان جوهر إلهي وجوهر انسي

﴿وقال الملكي﴾ : «اقول ان المسيح شخص واحد وطبيعتان الهيّة وانسيّة . فهو بالالهية اله وبالانسية انسان . وهو شخص واحد اله وانسان من جهتين مختلفتين . والبرهان على ذلك انّا قد اتفقنا على ان المسيح واحد اله بالطبيعة وانسان بالطبيعة . ولا يخلو ان يكون الذي هو (٣،ز،و ٤) الاله بالطبيعة هو الذي هو انسان بالطبيعة او هو غيره . فان كان هو وجب ان يكون شخصاً واحداً الهاً في طبيعته وانساناً في طبيعته وهذا قولنا وان كان الذي هو الاله بالطبيعة غير الذي هو انسان بالطبيعة وكان

هو الاله بالطبيعة هو ابن الله الازلي وكان المسيح إلهاً في طبيعته كان المسيح غير ابن الله. وابن الله غير المسيح وهذا نقض ما عليه النصرانية •

﴿وقال اليعقوبي﴾: «وأذهب الى ان المسيح شخص واحد طبيعة واحدة (f°96,v°) إلهية انسية لاني ازعم ان الشخص الالهي اتحد بالانسي اتحاداً يزيل التفرقة تسمية ومعنى. فهو شخص واحد طبيعة واحدة. والبرهان على ذلك انا قد اتفقنا على ان المسيح واحد في العدد. ووجدنا الواحد في المنطق لا يخلو ان يكون شخصاً او نوعاً او جنساً. ولما استحال بالمقاييس ان يكون المسيح واحداً جنساً او نوعاً بقي ان يكون شخصاً واحداً وطبيعة واحدة. وايضاً لما وجدنا العدد انما يقع على الامور المتفردة بخواصها التي هي لشخاص ووجدنا الشخص الازلي متحداً بالشخص (f°97,r°) الزمني منذ كونه استحال منهما الافتراق تسمية ومعنى. ولما ارتفع الافتراق بطل اثبات العدد لبطلان علته. ولو كان في حال الافتراق اثنين وفي حال الاتحاد اثنين لكان حال الاتحاد في حال الافتراق وحال الافتراق في حال الاتحاد وهذا محال التسمية والمعنى •

فاستحسن الوزير ما اتيا به وصرفهم مكرمين. ولله الشكر دائماً (f°97,v°)

تنبيه للمعرّب

في وصف النسطوري واليعقوبي لبدعتهما نظر فانّ النسطوري بجعله السيّد المسيح شخصين قائمين بذاتهما يُبطل كلّ سرّ الفداء. اذ يجعل الاتحاد بينهما عرضياً فلا يختلف المسيح عن بقيّة الانبياء. الذين حلّ فيهم روح الله الّا اختلافاً قليلاً ولا يمكن ان تُنسب اليه اعماله الالهيّة والانسانيّة كما ترى ذلك في كلّ صفحات الانجيل فانّه هو الاله الذي وحده يبرز كل اعماله بعضها بطبيعته الالهيّة وبعضها بالانسانيّة كما تُنسب اعمال الانسان الى شخصه وان تنوّعت فبعضها يصدر من قواه الجسديّة وبعضها من العقليّة فيقول: انا افطن وأعقل وأشاء. كما يقول: انا آكل واشرب وانام. واسم المسيح يُطلق على هذا الاقنوم الوحيد العامل بطبيعتيه

وكذا اليعقوبي مُخطئ بقوله عن المسيح انه طبيعة واحدة وان اصاب بقوله انه شخص واحد. لأنّ السيد المسيح يعمل اعمالاً لا يمكن ان تقع منه كإله فانه بهذه الصفة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يموت. وكذلك له اعمال غيرها لا يقوم

بها الانسان وحده كاحيائه الموتى وقيامته من الموت وصعوده الى السماء . فلا بدّ اذن من اقرار الطبيعتين دون مزجها في شخصه الواحد العامل بها . على ان في قول المقريزي ما يشير الى ذلك ضمناً وان يخالفه علناً وذلك بقوله « ان المسيح طبيعة واحدة الهيّة انسيّة» فانّ قوله «الهيّة انسيّة» يقتضي وجود طبيعتين لا طبيعة واحدة لاختلاف اعمالها اختلافاً جوهرياً . فالملكي اذن هو المحق بقوله ان المسيح شخص واحد بطبيعتين الهيّة وانسانيّة وهو اعتقاد الكنيسة الكاثوليكيّة لم تحد عنهُ منذ عهد الرُسل

٣ استخراج الدهن من جثث الموتى بمصر في عهد دولة المماليك

ذكرت الصحف الاوربية في ابان الحرب الاخيرة ان الالمان لمّا اعوزهم الدهن لانقطاع وروده من الخارج بحصار الحلفاء لهم برّاً وبحراً عمدوا الى جثث القتلى عندهم فكانوا يغلون عليها الماء حتى ينحلّ ما بها من الدهن ويطفو فيجمعونهُ ويستعملونهُ في حاجاتهم . وقد نمَت وتنمّ ضجّة الاشمئزاز من استباحتهم مثل هذه المحارم الشنيعة وعُدَّت من جملة فظائعهم ومخترعاتهم القبيحة . على انهم والحق يقال ليسوا اوّل مَن سنّ هذه المخزية وابتدع هذه الفاحشة . ولا يخلو ان يكونوا قد تلقّنوها عن احد علماء الشرقيات عندهم ممن طالع خبرها كما طالعتهُ في بعض المخطوطات العربية المصرية . فقد ذكر المقريزي في جملة الطُرف والغرائب التي شحن بها كتابهُ المخطوط « السلوك لمعرفة دُوَل الملوك » حتى جاء كأنهُ احدى جرائد اليوم في ذلك العصر ما يأتي في حوادث مصر في شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وثمانمائة (١٤٢٠م) قال :

« في هذه الايام عثر بعض الناس بجماعة تنزلوا من رسم بني آدم شيئاً كثيراً فحملوا الى الوالي فما زال بهم حتى اقرّوا انهم ينبشون الاموات من قبورهم ثم يغلون الميت في الماء بنار شديدة حتى يتهرّى لحمهُ فيجمعون ما يعلو الماء من الدهن ثم يبيعونهُ للفرنج بخمسة وعشرين ديناراً القنطار . فحُبسوا ونُمي خبرهم بعد ما شاهد الناس رسم الموتى والاواني بها الدهن . وحملت الى السلطان حتى رآها وشنق بها القاهرة » (١

١) المجلد الثاني من السلوك رقم ١٧٢٧ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس (ص٢٩٠)

ونكتة هذه النادرة الحريّة بالتسجيل في تاريخ تجارة مصر قوله: «ثم بيعونة للفرنج» ولا شكّ انهم كانوا يرون ان في حصر بيعه للفرنج الكفّار كفّارةً عن هذا الاثم فضلاً عمّا وراءه من الربح. وحبّذا لو كان المقريزي نصّ على جنس هؤلاء الفرنج المعروفين كعادته غالباً في تسميتهم في تاريخه بين جنوية وبنادقة وبُرجان وقبارصة وكتلان او كيلان وهم فرنج برشلونة (Catalans de Barcelone). ولعلّ الالمان كانوا وقتئذٍ من جملة آكلة هذا الدهن البشري ولذلك تنبّه ذكرهُ في أمخاخهم لما عضّتهم الحرب الضروس بانيابها والجأتهم الجوع الى مراجعة مخطوطاتهم التاريخيّة وذخائرهم المتناهية

بين المشرق والسائح

مقدمة

وقف حضرة مدرّس الخطابة في كليّتنا على ما كتبهُ عبد المسيح افندي حدّاد في جريدة السائح النيويوركيّة من انتقادهِ لكتاب جبران افندي خليل جبران المعنون بالبدائع والطرائف فعرض على تلامذتهِ بعد ان اطلعهم على مقالة المشرق وردّ السائح ان يكتبوا فصلاً انتقادياً فيها ليتادبوا فنّ الانتقاد الادبيّ والبيانيّ. فوجدنا في ما كتبهُ البعض منهم دليلاً على حصافة عقلهم وشاهداً على براعتهم في الانشاء بلغتنا العربيّة فاخترنا انتقاد اثنين منهم تنشيطاً لعملهم

ل. ش

انتقاد اوّل

بقلم التلميذ الاديب فؤاد افرام البستاني

ظهر في اوائل الصيف الماضي كتاب لجبران خليل جبران دُعي «البدائع والطرائف»

تلقّت الجرائد هذا الكتاب — والجرائد قوام الحركة الادبية عندنا — فكان موقفها إزاءهُ موقفها إزاء كل كتاب جديد يأتيها على سبيل الهديّة. اجتزأ اكثرها

بقراءة العنوان فطبلت وزمرت بذكره وكتبت في تقريظه العواميد الطويلة « معجبة بخيال الكاتب وبمقدرته الفائقة وافكاره السامية ما جعل كتابة مدرسة للآداب وواسطة لتهذيب الاخلاق واصلاح المجتمع ... » الى غير ذلك من القوالب الفارغة المبتذلة لكثرة الاستعمال، والتي نجدها مرصوفة على منضدة الكثيرة مختفيا استعدادا لتقريظ كتاب جديد

كتبوا ومدحوا وقرظوا واكثرهم لم يقرأ بإمعان ما حاول تقريظه . ولم كل هذا الاندفاع ؟

لان مؤلف الكتاب جبران خليل جبران ...

جبران خليل جبران شاعر رسام بارع ولبن قدير واحد حملة القلم العربي في هذا العصر ولكن كتابه « البدائع والطرائف » يجمع بين الـدرة والبعرة ومع بدائع التوافه والسفاسف

اذن كان الواجب على جرائـدنا ان تحكم فيه حكماً منصفاً – وهو امر لم تألفه – ولهذا ظلت تتناقل التقاريظ الفارغة حتى ظهر عدد تموز الاخير من مجلة الشرق واذا فيه انتقاد مفصّل لحضرة مديرها بيّن فيه ان « البدائع والطرائف » لا تخلو من نقائص ومعايب كالإيهام، واللغو والمزاعم الباطلة والافكار الفاسدة

انتقد الاب الكتاب كأديب وككاهن ، فبيّن الخلل في المبنى وفي المعنى واعطى الامثال الصادقة على كل ذلك فأجاد . وكاني به اراد ان يقف موقف الدليل المرشد الى مكان الخطأ مكتفياً بذلك – وهذا واجب عليه – فادّى به موقفه هذا الى الاقتصار في مديح الكتاب دون ان ينكر ما يحتويه من بعض الحسنات

ظهر الانتقاد في الشرق فقرأه القليلون لان الكثرة لم يتعوّد الانتقاد . ثم مرّت الاسابيع والاشهر واذا بجريدة « الشعب » النيويوركية تنقلت انتقاد « الشرق » واذا بجريدة « السائح » النيويوركية ايضاً وقفت على الانتقاد فلم يرق في عينها فعلّقت على « هامشها » كلمة نالت بها من كرامة المنتقد وانكرت عليه مقدرته وحتماً مدعية انه شاء الحط من قدر جبران فمدحه من حيث لم يقصد « فوقع سهمه على ام رأسه » وذلك بعرض الامثال التي اختارها من « البدائع والطرائف »

عجبتُ لجريدة « السائح » يثور ثائرها لانتقاد كتاب وهي التي بثّت روح الانتقاد

في العالم العربي بما نشرته وتنشره من المقالات الشائقة في هذا الفن لخائيل نعيمه ووليم كاتسفليس وغيرهما من اعضاء «الرابطة القلمية»

يجوز «السائح» ان تنتقد شوقي والريحاني وخليل مطران وغيرهم من الشعراء والكتّاب ولا يجوز «للشرق» ان ينتقد جبران !!!

لِمَ هذا التفاوت في الحقوق ؟

ولِمَ غضبت «السائح» ؟

ألأن المنتقد كاهن يسوعي ؟ ام لان المنتقد عليه جبران خليل جبران وهو من «الرابطة القلمية» ؟

أأصبحت الرابطة القلمية فوق كل انتقاد ؟ ام اصبح جبران معصوماً من الخطأ ؟

اذا كان ذلك فلنكسر اقلامنا ولنسلم زمام لغتنا الى الرابطة القلمية باكين على عهد حرية الكلام . وان لم يكن ذلك فليس «للسائح» اقل حق باعانة التنديد

عجبت لهذا الحادث ، وحق لي ان اعجب ، لأني اعهد «السائح» — وهي من جرائدنا الراقية — ارفع من ان تتداخل بالشخصيات ، واكبر من ان تنظر بعين التحزب الى انتقاد ادبي لا دخل فيه لصفات التنديد والتنقد

تقول «السائح» ان مدير الشرق اراد ذمّ جبران فمدحه فهي تنكر على الاب معرفته وتبرهن على ذلك بنقل تقريظ «المقتطف» الكتاب المذكور وما له من برهان دامغ ! يُبرهن ، لا من جهل الاب ، بل عن سهو مقرّظ الكتاب في «المقتطف» اذ زاغ جارياً في النقد الادبي على طريقة اكثر جرائدنا القرّاء . . . .

انا لا ادافع عن الاب شيخو ولا اتحامل على جبران فان لكل من الكاتبين في عالم الادب مركزاً معروفاً على ذوي النقد ان يقدّروهُ كما يشاؤون . ولكني وقفت على هذه الحركة فوجدت من تمني دافعاً لعرض افكاري بشأن «البدائع والطرائف» محور الحركة المذكورة

قرأت الكتاب وقرأته فاعجبتني رشاقة جبران في كتابته وشاقني شعوره الرقيق ، وخياله المصوِّر ، وبعض انتقاداته للرجال والاعمال . ولكني لم اتمالك من اظهار الاسف والحيرة عند قراءة بعض مقالاته غير المفهومة اما للتطرّف في الخيال ، على مذهب بعض الشعراء ، واما للمغالاة في رقة الشعور حتى يصبح الطالعون —

نم اقل شعوراً من جبران — عاجزين من فهم المقصود . وما تجاوز الحد سواء كان الخيال ام في رقة الشعور الا آفة الشاعر اذا لم يكن له من عقله رادع عن التهوّر

كنت اجهل جبران واحب ان اعرف عنه شيئاً فعرفت — بطالعتي قصة المتنون جبران العاشق » — ان الرجل « يعشق الخواطر ، والتصورات ، والالوان ، والانوار ، لتقود المارية ، ويعبد الخيال . . . . » وازددت زيادة ايضاح فسمعته يقول عن نفسه في لمخدرات والمباضع » : « انا متطرف حتى الجنون ، اميل الى الهدم ميلي الى البناء ، وفي ي كره لما يقدسه البشر وحب لما يأبونه ، ولو كان بامكاني استئصال عوائد البشر ائدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة »

هذا هو جبران كما يظهر في نثره وشعره بل في كل حرف خطه . فلا تعجب ن اذا رأينا الافكار الفاسدة تختلط في كتاباته مع النظرات الصائبة فان ما نحسبه ذاً هو صحيح في شرع جبران بل هو اصح مما نراه صحيحاً

جبران يحب الهدم فهو من هذا القبيل يقتفي آثار فلاسفة القرن الثامن عشر لكنه يختلف عنهم بان هؤلاء كانوا يفكرون بالبناء وجبران لا يرى الآن الا الهدم تخريب

لنفترض ان آمال جبران تحققت بهدم الصرح الاجتماعي واستأصل عادات البشر ائدهم وتقاليدهم . . . فما تكون حالة المجتمع بلا دين ولا شرائع ولا رابطة ية ؟

هل نعود نفرق بشيء عن بولشفيك روسية التاعية ؟

ام هل يكفينا حينئذ « عشق جبران للخواطر ، والتصورات ، والالوان ، نوار ، والقدود المارية » لانهاضنا من هذه الورطة ؟

الهدم حسن وفي بعض الاحيان لازم اذا كان الهادم يقدر على تشييد صرح افضل لمه . فهل يرى جبران من نفسه هذه المقدرة ؟

نحن بحاجة ، لا الى الهدم ، بل الى تحسين ما عندنا من البناء الاجتماعي ولو كان اً من خشب . . .

* * *

هذا ولا التعرض لمذهب جبران الديني فاني لم ار له مذهباً محدوداً اذ بينا نراه

يحاول اللحاق بمذهب الحلول والانتشار في مقالته «الله» يكتفل الى «الارض» فيسقط في حضيض الماديين. ثم نشاهده ، وقد برحت به على قوله محبة الله ، يقرب الى عالم التخيلات والاوهام الباطلة ثم يتظاهر بالغيرة على عبادة الله الحقيقية ويحكم على كل العباد بالتزوير والغش والتاجرة ويقول بانهم لولا خوف الجحيم وحب النعيم لا عبدوا رباً ولا صلّوا لاله

ولعلّ هذا ما حمل جريدة «السائح» على نعت جبران «برسول الله وعونه...» فنعم الرسول ونعم العون!

وكان بودنا ان نثني على مذهب جبران وطريقته الادبية في كتاباته لولا أننا وجدناه فيها ايضاً مشايا متطرفاً لا يحسن الوقوف عند الحدود وقد قيل: احسن الامور اوساطها . ولو احتاج مدير الشرق الى الدفاع وانضام السائح لكفاه ما نقله جبران نفسه من اقوال الجرائد في نقد كتاباته (ص ١٠١ من البدائع والطرائف) فقالوا: هو (اي جبران) متطرف بمبادئه حتى الجنون . هو خيالي يكتب ليفسد اخلاق الناشئة . هو فوضوي كافر ملحد ...»

والعجب كل العجب ان جبران افندي يقرّ بصحة هذه الانتقادات وغيرها فيقول: «هذا بعض ما يقوله الناس عني وهم مصيبون (كذا) انا متطرف حتى الجنون ... لا امزج السمّ بالدسم بل اسكبه صرفاً غير اني اسكبه في كؤوس نظيفة شفّافة»

فما قول صاحب السائح بهذا الاقرار او يليق به بعد ذلك ان يدافع عن جنون جبران . وان شاء هو «ان يشرب سم جبران من كأسه النظيفة الشفافة» فهو وشأنه فليشربه هنيئاً مريئاً وليدع الملأ غيره يعافونه ويحذرون من شربه

انتقاد ثانٍ

بقلم التلميذ الاديب ادوار صعب

حمل الينا بريد اميركا في الآونة الاخيرة جريدة السائح فقرأنا بين الاندهاش المقالة الافتتاحية «على الفاسق» الدبجة بيراع محررها الاديب . واذا بقلمه قد جمع هذه المرة على خلاف عادته

ساءنا وأيم الحق ما جاء بها من الطعن والتعريض في احد افاضل كليتنا ومعلمينا

القرن أرشدوها في كل مناهج الادب والصلاح فرأينا والحالة هذه أن من واجباتنا ومن واجبات كل ذي ضمير حرّ ويراع مقدّس عدم السكوت تجاه هذا التهجم والتحامل من صحافي اديب على مقتبس مجلة لها مكانتها المرموقة عند الناطقين بالضاد

اما اسباب هذا الخلاف فهو انتقاد مدير الشرق لاحد مؤلفات جبران خليل جبران الذي جمعه وطبعه على نفقته في المدة الاخيرة يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر. وهو كما نرى سبب تافه بسيط لا يتطلب هذا الرد العنيف وقد كان الاحرى بجبران وشيعته ان يشكروا الناقد لا ان يستسلموا لعوامل غضبهم فيزمجرون ويضجّون ويلعنون والامر كما تقدم في نهاية البساطة. وقبل ولوج قلمنا في هذا الموضوع المهم نعرف الجمهور بجبران خليل جبران المومأ اليه فنقول:

ليعلم القاصي والداني من هو ذلك الذي يحمل هذا الاسم الكريم حفظه الله!!

جبران لبناني الاصل ماروني المذهب. ولد في بشري سنة ١٨٨٣ ونشأ فيها تحت سماء لبنان الساحرة. وعلى انقاض العصور السالفة في سفح الارز المهيب! ثم تتلمذ في مدرسة الحكمة فتلقّن من اساتذتها العربية بيد انه اختص نفسه منذ ذلك الحين باسلوب خيالي منمّق لولا انه غريب المبنى شارد المعنى ادهش به القرّاء. فحكم فريق ان به مسّاً وفريق آخر ان فيه دلائل النبوغ

وقد رأينا كيف ان الحوادث حققت الحكمين في آن واحد فنشأ جبران نابغة وانتهى متمسّاً. ولم يلبث ان ترك المدرسة وهاجر الى باريس حيث تعاطى فنّ التصوير ونبغ في اوائل الامر كما قدمنا وبعد ان اقام فيها مدة وجيزة هاجر الى الولايات المتحدة فقطن بوسطن زمناً اشتغل فيها بالكتابة والتصوير وبموازرة بعض المعجبين بتفننه توصل الى الشهرة التي سعى كثيراً للحصول عليها. والانكى ان اسلوبه الخيالي قد تمكن من عقول السذّج وغلب الابهم في حين لم يكن يظن انسان بامكان رواج هذه الكتابات المزيفة المنفخة في سوق الادب الكاسد

وحين شعر جبران باستحسان بعض المتهوسين جمع وتطاول على الرؤساء والرئاسة وعلى الدين والديانة والبتة قلنه بكثير الفصول الطوال جارياً على خطة امين محمد الريحاني الماروني المذهب الزنديقي الأدب تاركاً كل شيء إلّا الاديان ساعياً وراء رسم الصور الخيالية وربما عدل الى الخلاعية بوجوه مختلفة جامعاً دين ابائه واجداده.

وأمّا كتاباته فلا تخلو من بعض قطع زجاجية لامعة يظنّها الرائي من بعيد جواهر حتى اذا فحصها وعجمها تبيّن له انخداعه بالظواهر. وقد كنّا والحقّ يقال كثيرنا من الناطقين بالعربية توسّمنا في جبران النبوغ في بدء الامر ولكن سرعان ما خاب سهم الظنّ بعد أن بانت لنا بكل وضوح افكاره ومبادئه الفاسدة العقيمة يوشحها بالعبارات المنمقة والخيالات الفائقة ليخفي ما انطوت عليه من السفاسف والترهات.

ولا نرى له وصفاً اصح مما كتبه في وصف «الشاعر» فذكر اخلاقه وعواطفه وامياله بكل صراحة لكنه اخطأ اذ نسبها الى كل شاعر. ومن قوله في نفسه: «انه متطرف بمبادئه حتى الجنون. وانّ في كتاباته السم في الدسم الخ» أجل انه متطرف بمبادئه كثيراً حتى الجنون ولكنه ذو خبل شأن ذوي النفوس المريضة والاخلاق الشاذة الذين لا يروقهم احد ولا يسرهم في العالم شيء يعملون ليلهم نهارهم على نكاية الغير لا حباً بالشرور بل حسداً وغيرة وهم على حد قول الشاعر القروي:

كل شيء عندهم ظلام كأني ... انظر من زجاجة سوداء

أجل: ان كتاباته السم في الدسم ولكن لا يشعر بدسها الا ذو البحران الذي ألف العلقم فراقه مرّ الحنظل. وناهيك بتطرف جبران وسمومه فهنالك حشرات مبادئه السامة التي بثها في مؤلفاته العديدة قد نخرت وستنخر المئات والالوف من اشجار الاخلاق السليمة والمبادئ السامية فساها، ولو بالرغم من جبران وحوزته ان لا تقوى على نخر جذع شجرة الدين الصلب. ومتى تلك الكلمة الحقة الخارجة من افواه ارباب الدين تحت اصوات براعه المزعجة

واغرب شيء من جبران هو تهجمه المتواصل على دينه وهذه النغمة الجديدة لم تكن نظن يوماً اننا سنسمعها من الكاتب الجاهل فكيف بنا وقد سمعناها مراراً من ذلك الذي عهدناه زماناً وسميناه «بالفيلسوف اللبناني» الذي هو ادرى من غيره بحاجتنا الى الدين في هذا العصر الفاسد. كيف لا والدين وحده الطبيب الشافي لهذا الاجتماع وهو الرادع المانع عن الموبقات والحافظ ثمرة الاخلاق من شر الفساد...

ولعلّ جبران فاته هذه الحقيقة الثابتة لانّ الغرور غشّى انظاره ورمى به في وهدة القنوط فاصبح يخاف من الدين ومن ارباب الدين ومن كل ما له علاقة بالدين فعمد الى رشقهم بسهامه غدراً ومحاربتهم ببراعه جهراً لانهم يذكّرونه بعصيانه

وعقوقه ومن ثمّ موتٌ فاضمحلال فحشرٌ فدينونة وعلى الجحيم البقيـة . ولا لوم ولا تثريب عليه من هذا الباب ! . . .

وهذا من تهجّمه على الدين تهجمه على الاخلاق ومحاولته زرع بذور الفساد في القلوب جهد الامكان فمن طالع منّا كتابه «الاجنحة المتكسرة» يدرك ما ضمّنهُ من التصاوير القبيحة الشهوانية مثل وصفه لمسيح الله تمثال الطهارة تحيط به مشترَوت آلهة الدعارة عند الفينيقيين وبضع نساء عاريات

شهد الله انني كنت في عهد نبوغه من عشّاق كتابته افرحين بكل ما تحمله يراعته القائلين بانها آيات منزلة هذا قبل ان بان لنا الغثّ من السمين والسراب من الكوثر واتضحت لنا معانيها المبتذلة السخيفة وتراكيبها الخيالية المجونية التي بهرت انظاري كثيراً من قبل ان افهم معانيها . ولكن عندما حدقت فيها شفّت لي عمّا تكنّه من الالوان القاتمة فانصرفتُ عن قراءة مؤلفاته حينما تحققت بذاتي فسادها وتوصّل بي الامر ان مزّقتها واحدة واحدة . ومع كل هذا لا يسعني ان انكر بعض شوارد قلمه تعدّ من محاسن لغتنا . ومن البديهي ان المرسح لا يخلو من بعض الزهور فحسنُ عبارته في بعض كتاباته لا ينفي كونها تنبت كثيراً من الاشواك . ومن تلك الفصول الحسنة العبارة بعض متفرقات مثل فصوله «مات اهلي وانا في قيد الحياة» . و«يوم مولـدي» . و«من انت» . و«الاستقلال والطرابيش» الى ما هنالك من الثمار الطيبة التي انتجتها تلك المرسحة والتي لا يمكن جناها الّا مخضّبة بدماء ايدي قاطفيها

ومن الغريب ما سمعت انّ بعض المعجبين بجبران ينسبون له الفلسفة ولا ادري ما هي تلك الفلسفة ولعلها كما قيل قلّ وسقه اهل تترّهم الاقوال المتضاربة المتنافرة والخيالات المتباعدة وانتم لو تصفحت تآليفه من اولها الى آخرها لما رأيت موضوعاً واحداً متناسقاً او مبنياً على اساس واصول او محرّزاً على سياق الكتابات الرصينة الناضجة الى آخر ما هنالك من اللوازم التي يحتاج اليها الكاتب البسيط فضلاً عن الفيلسوف فيشيد مقالة او موضوعه على أسٍّ واحد فيأتي بنيانه متين الدعائم قوياً وليس مطلياً بالالوان المزخرفة لا زبدة له ولا موضوع يستند عليه الّا ما تحشره اليراعة على صفحة القرطاس من الجمل المجونية المنمقة تشبهاً شأن فيلسوفنا الناهض ؟

تصفّح مثلاً كتابه « على باب الهيكل » فتحكم حالاً على كاتبه بالاندفاع في هوة الجنون. وان لم يكن كله فعلى الاقل نصفه الذي تأكله (على زعمه) نار الحب (والسقيم يعدي السليم). ومن كتاباته التي حشاها بالترّهة والهذر « العبودية الخرساء » حيث عمد في كل كلمة الى الطعن والسب في اولئك الذين يقضون حياتهم في الزهد والتكفير وعمل الخير. اولئك الاطهار الذين اذا لم ينفعوا الناس فعلى الاقل لا يضرونهم شأن جبران وطغمته. وقد دفعه النزق ايضاً الى وصف الكاهن اقبح وصف مبيناً للملا أن الدين جعل ستراً للفظائع والموبقات (كالقلام بعض الكتبة اللهم الذين على شاكلته) . الى آخر ما هنالك من التحامل الظاهر ظهور الشمس رأد الضحى . . .

هذا هو جبران المتفلسف اصفة كما يوحيه الي ضميري ولا ناقة لي ولا جمل في الامر . واترك لغيري من الكتبة والنقاد غربلة محصولاته ونقدها واحدة واحدة . والحكم في بضاعته المبتذلة التي يعرضها على الجمهور المتزّ بها والتخلص الى ذكر السبب الاول الذي حمل هذا اليراع على دخول هذا الميدان

*

لقد ذكرنا ان فساد مبادئ جبران حمات الاب شيخو الى انتقاده وإماطة اللثام عن تهتكه ومساوئها فوضع مقالة انتقد بها « بدائعه وطرائفه » على صفحات المشرق البيروتية فقامت قيامة السائح عليه وكتب المقالة التي ذكرناها في اول هذه الرسالة وحشاها بالتهكم والذم وقد دفعته حدته الى ان ناصب الدين العداء (وهي اشرف ذخيرة بقيت لنا سلية في هذا الشرق) واستهزأ بالكهنة . فكذبنا النظر في بدء الامر لعلمنا ان السائح المعروفة بماضيها المجيد وبجهادها الطويل في عالم الصحافة لا تُقدم على مثل هذا الامر الشائن بسمعتها وسمعة مناصريها الكرام! كيف لا ؟ وهو يتعلق بالطعن والنميمة في كاهن فاضل وكاتب جريء جلّ ذنبه السبب لهذا الغضب العظيم انتقاده لاحد الكتاب المتهوسين . ومن المعلوم عند الكل ان لا فلاح للغة قبل عهد منتقديها وكثر الكتّاب وعجزي الاعمدة الطوال فيها فانظر كيف ان جريدة من امهات الجرائد تغضب لمثل هذا الامر وتمتعض من الانتقاد الادبي الذي هو اشرف فنون الادب

والمدهش ان هذه المقالة المحشوة بالطعن والقية (وهو ما نربأ بكل يراعة عنه)

قرأناها على صفحات جريدة عرفناهـا بالاعتدال ولم تكن لنؤمّل قط ان جريدة كجريدة السائح مع ما احرزها من السمعة الطيّبة في المهجر تتحفنا بمثل هذه القالة وترضى بان تكون قوساً يطلق نبـال رجل كجبران على كاتب معتـدل يقتصر للادب والدين . وهو الذي خـدم ويخدم لغتنا العربية بتآليف لا ينكر فضلها المحققون واستحسنها ادباء العصر وارباب المدارس . ومن اغرب الامور اننا لو سألنا جبران وطغمته على من تلقنّوا اللغـة وفي اي كتب . لاجابوا بدون شك انهم قرأوا العربية في تلك المصنّفات واخذوها عن الكهنة رسل الجهل او ارباب الخلافة السوداء على زعمهم !!! . وعندئذٍ يصح قول المزمور بهم : «ملعون كل من شرب من بئرٍ ورمى حجراً فيها» . وما هو يا ترى سبب هذا الشتم والسبّ ؟

لا شيء ؟ بل لانّ مدير المشرق حاول ان يصدّهم عن قتل النفوس بسموم مبادئهم الفاتكة وردع يراعتهم عن افساد اللغة النقيّة

ومن الغرابة طعنُ السائح وشتمها الذي دلّ على عجزهـا ولو شاءت ان تبين للجمهور الحقيقة لوجب عليها ان تردّ الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان كما فعل الاب في انتقاده فعمدت الى تمويه الحقيقة من جميع وجوهها

فهل لجريدة السائح ان تخبرنا اية حجة دفعتها او برهـان وبيّنة بل جلّ ما هنالك في اعمدتهـا الطويلة كلمات لم نفهم منها ألا ان انتقاد جبران كان مديحاً له وذمّـه تبيعاً وانّ الاب هجا وشتم وليس في كل ما كتبـه عن جبران كلمـة شتيـة او هجو ولم يأتِ قلم الاب شيئاً مثل هذه الجبرانيات بل كل ما هنالـك انتقاد حقيقي حريّ بكل اديب ان يجري على مثاله فيه فينفع قومه ويخدم لغتـه اجلّ خدمة

ولكن لربما صحّت كلمات السائح في السائح نفسه فعظّم وبجّل الاب من حيث لا يدري فجلب نظر الفريق الاكبر منّا الى مطالعة مؤلفاته العديدة وكان الفضل في ذلك للسائح واصبح لنا الحق ان نقول انّه كان الواسطة في ذكر خدماته السابقة

المخطوطات العربية لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

تابع حرف الميم

٧١٨ ﴿ مبارك البندكتي ﴾ في مكتبتنا الشرقية « كتاب درب الصليب اللوكي» منسوب الى « المعلم مبارك اتينيا (كذا) راهب من رهبنة ماري مبارك من جبل كسين انه في اللغة اللاتينية ثم عربه احد الرهبان اللبنانيين الحلبيين من ترجمة الايطالية . والنسخة في نحو ٣١٠ صفحة في ثلثة كتب وعدة فصول مخطوطة في اواخر القرن الثامن عشر . وجدنا منه نسخة ثانية في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب تحت عنوان « طريق الصليب » . اما المؤلف البندكتي فلم نقف على اخباره

٧١٩ ﴿ مبارك الشيني ﴾ هو الراهب اللبناني الفاضل الذي ذكرت ترجمة في المشرق ٢٠١ [١٩٢٢] : ٨٥١–٨٦٢) المتوفى في ٩ ايلول ١٩٢١ . وهناك قائمة تآليفه التي طبع منها ترجمة لكتاب الاب فالوي اليسوعي «دستور الرهبان» ولكتاب « دستور الحياة الروحية » للاب سورين اليسوعي . ومما بقي من تآليفه مخطوطاً : ١ « كتاب لاهوت اعتقادي مختصر . ٢ كتاب الفضائل الرهبانية وهو خلاصة كتاب الكمال المسيحي

٧٢٠ ﴿ متوديوس ﴾ بطريرك القسطنطينية المتوفى سنة ٨٤٦ م له في احد مجاميع البامر للآباء القديسين في مكتبتنا الشرقية ميمر الاحد الاول من الصوم

٧٢١ ﴿ المجدلوس ﴾ القس الملكي المتوفى في ديار بكر سنة ٩٩٢م . له في مكتبة مار يوحنا الصابغ في الشوير وفي مكتبتنا الشرقية في آخر كتاب درياق العقول لابي الخير الرشيد المتطبب نسخة من كتابه « تفسير الامانة الاورثذكسية التي وضعوها الآباء الروحانيين (كذا) بنعمة الروح القدس الثلثمائة والثمانية عشر . وهو شرح حسن لدستور الايمان

٧٢٢ ﴿ محيي الدين العجمي الاصفهاني ﴾ من كتبة النصارى في القرن العاشر

للمسيح . له في مكتبة باريس في احد مجاميعها الموسوم بالعدد ٢٠٢ مقالة في العقل والعاقل والمعقول . وفي مكتبة ليدن من اعمال هولندة لمحيي الدين المذكور مقالة اخرى عنوانها «اشرف الحديث في شرف التوحيد والتثليث» وهي في ستة فصول في مكتبتنا الشرقية منها نسخة منقولة عنها

٧٢٣ ﴿مخلوف﴾ هو السيد بطرس ضوميط القوسطاوي الماروني مطران قبرس احد تلامذة المدرسة المارونية في رومية المتوفى في العشر الاول من القرن الثامن عشر . من آثاره : ١ اسكندار بحسب طقس الكنيسة المارونية السريانية . منه نسخة لدى حضرة القس يوسف حبيقة الراهب اللبناني . تاريخها سنة ١٦٦١ بخط القس رزق الله بن سركيس من عيلة بيت الشاس يوحنا من قرية ببعل من زاوية طرابلس الشام في ١٧ شباط . ٢ له في مكتبتنا الشرقية كتاب مفتاح البيعة الفه المطران بطرس حين كان في رومية العظمى يدعي الطاعة باسم البطريرك جرجس السبعلاني لقدس البابا اقليمنس التاسع . وهو اسئلة واجوبة عن امور دينية شتى وشرح مشاكل انجيلية ومسائل في الكنيسة ورأسها الخ « كتب سنة ١٦٨٧ بيد القس سليمان راهب من قرية دير الشمس (؟) في بلد جبيل من رهبان دير طاميش بأيام المطران ميخائيل الذي انشأ هذا الدير والمطران ميخائيل المهتم معه بذلك » يلي هذا كلام عن المجامع المسكونية ومقالة عن الكتب المقدسة وتفنيد للقرآن في عشرين فصلاً . ٣ له ايضاً في مكتبتنا الشرقية كتاب حياة المسيح استخرجها من اللاتيني الى العربي « اذ كان كاهناً سنة ١٦٧١ » . ٤ ويذكر له ايضاً كتاب الشرطونية اعده للطبع في رومية . ٥ وألّف كذلك مواعظ منها نسخة في بسكنتا وفي بيت شباب

٧٢٤ ﴿المدوّر﴾ جميل بن محمد البيروتي المتوفى في القاهرة في ٢٦ كانون الثاني ١٩٠٧ . له في الآثار القلمية : تاريخ بابل وآشور وحضارة الاسلام في دار السلام على مذهب سياحة اناكرسيس تكرر طبعه ثم مختصر التاريخ القديم وتعريب رواية اطالا لشاتوبريان . وفي بيت اهله مخطوطات متفرقة ادبية وتاريخية وروائية

٧٢٥ ﴿مرتينوس﴾ الاب بطرس مارتي المرسل اليسوعي في الشام المتوفى في ١٠ ايلول ١٨٨٠ . له : ١ في مكتبتنا الشرقية تاريخ مخطوط للبنان بالفرنسوية في عشرة مجلدات ونحو ١٠٠٠ صفحة كبيرة كثر منه بعض فصوله في البشير معربة بقلم

المرحوم رشيد الشرتوني ثمّ طُبعت على حدة بخمسة اقسام صغيرة . ٢ً كتاب تاريخ معابد العذراء مريم ومزاراتها في لبنان في مجلّد كبير لم يطبع اخذ عنه الاب غودار عدّة معلومات في كتابه «مريم في لبنان» (Marie au Liban) . ٣ً صنف كتاباً في عبادة قلب يسوع لكلّ أيام شهر حزيران . منه ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة . ٤ً نشر في مطبعتنا سنة ١٨٦٣) كتاباً صغير الحجم اودعهُ مجموع تعزيات قريبة المنال

٧٢٦ ﴿مردشاه﴾ هو الخوري يوحنّا السرياني من تلامذة مجمع انتشار الايمان في القرن الثامن عشر . له في مكتبة دير الشرفة «كتاب الارشاد في الايمان الكاثوليكي» (ويدعى اسمهُ هناك مراد شاه) مدارهُ على حقائق الايمان والآداب امر بتصنيفه المجمع التريدنتيني . وله ايضاً في مكتبة القس بولس سباط تعريب مختصر اللاهوت الادبي (ROC, XVIII, p. 200, n° 57)

٧٢٧ ﴿مرّاش﴾ فرنسيس بن فتح الله المتوفّى في حلب سنة ١٨٧٤ (اطلب ترجمته في كتاب الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر ٢ : ٤١-٤٤) له تآليف شهيرة طُبع معظمها كذا كتابه المرآة الصفيّة في المبادئ الطبيعيّة وغاية الحقّ ومشهد الاحوال وغرائب الصدف وتعزية المكروب وشهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة والكنوز الفنيّة في الرموز الميموريّة . وقد طبع ديوانه مرآة الحسناء في بيروت . منه نسخة خطيّة في مكتبة الوجيه احمد باشا تيمور في مصر . وقد عثرنا لهُ في حلب على بعض متفرّقات لم تُطبع

٧٢٨ ﴿مرقص﴾ الانبا . كذا ورد اسمهُ دون زيادة في تعريفه في كتاب مخطوط من مكتبة الوارقة في حلب (ع ٣٦٩) عنوانهُ مقالة في الروحيات كُتب سنة ١١٠٣ هـ (١٦٩١م)

٧٢٩ ﴿مرقص﴾ الاب النعازري . كان في حلب في اواسط القرن التاسع عشر في مكتبتنا الشرقيّة «رياضة تسعة أيام استعداداً لعيد الجسد للاب مرقص النعازري»

٧٣٠ ﴿مرك﴾ الخوري يوسف الروميّ الاورثذكسي . كان في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وجدنا له في مكتبتي الروم الكاثوليك في حلب وفي بطلبك رشد المنشور بجرجس منش ردّاً على ما كتبهُ الكاهنان الكاثوليكيّان جبرائيل

جلده ويوسف بابيلا بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن . وعنوان كتابه في مكتبة بعلبك المخطوط سنة ١٨٢٥ : "كتاب البرهان الجليّ المتلي لدحض اجوبة الخوري يوسف باب البلا (كذا . يريد بابيلا) تأليف الاب الفاضل الخوري يوسف مرك الطرابلسي بروطوسنجلس الكرسي الرسولي الانطاكي البطرسي" . وللقس يوسف بابيلا تفنيد لهذا الكتاب في تأليفه "عنوان شرح العقيدة المدية الدرك بدحض اجوبة الخوري يوسف مرك . وهذا الردّ كتبهُ القس بابيلا سنة ١٧٦٣ . وقفنا على نسخة منهُ عند احد الكهنة

٧٣١ ﴿ مركلي ﴾ الاب يوسف من رهبان مار فرنسيس عاش في القرن الثامن عشر . له كتاب مخطوط هذا عنوانهُ : "كتاب العالميّ المنصوب من اختصار الزمان لممارسة رياضة عشرة ايام ألّفهُ الاب يوسف مركلي من رهبان مار فرنسيس مع درب صليب وواجبات الشتركين في الرهبنة الثالثة لمار فرنسيس" . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقية كُتبتا في القرن الثامن عشر

٧٣٢ ﴿ مزراق ﴾ القس ميخائيل من رهبان دير المخلّص واحد تلامذة مدرسة القديس اثناسيوس في رومية . عرّب كتاب قوت النفس في آلام السيد المسيح للاب اليسوعي فرنسيس رينالدي وطبعهُ في الشوير سنة ١٧٧٢ ثمّ تكرّر طبعهُ في مطبعتنا الكاثوليكية . منهُ نسخة خطّية في دير مار يوحنا الصابغ في الشوير

٧٣٣ ﴿ السابكي ﴾ هو المعلم ميخائيل تلميذ الآباء اليسوعيين في غزير المتوفّى نحو السنة ١٨٧٠ . وقفنا له في احدى مكاتب البلدة على تاريخ الكتاب المقدس مخطوط بيده ومبوّب . ومما عرّبهُ فطُبع في مطبعتنا مختصر التاريخ المقدس للكاهن لوموند ثمّ كتاب القصص والامثال للاب جيرودو ومائة حكاية للقانوني شميت

٧٣٤ ﴿ مسعد ﴾ البطريرك الماروني بولس المتوفّى في ١٨ نيسان ١٨٩٠ . طُبع في طاميش كتابهُ الموسوم بالدرّ المنظوم . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقية بخط الخوري ارسانيوس الفاخوري وطُبع لهُ في رومية ردّ على فتح الله مرّاش بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن . ولهُ من المخطوطات : ١ً نبذة في تاريخ الاسرة الخازنية . ٢ً تكملة تاريخ الطائفة المارونية للبطريرك اسطفانس الدويهي . ٣ً رسالة في الملكية والموارنة . طُبعت في كتاب الحماماتسنة ١٨٩٦ . ٤ً متفرقات مختلفة

في تاريخ لبنان وأسره موجودة في دار عشقوت الاسقفيّة

٧٣٥ ﴿سعد﴾ القس الدمشقي الاورثذكسي عاش في اواسط القرن الثامن عشر وعرّب سنة ١٧٤٧ عن اليونانيّة كتاب كيو اوسطراتيوس اوجنتي الطبيب الساقزي المعنون بالمشاء الرباني (راجع العدد ٨١)

٧٣٦ ﴿مشاقه﴾ الدكتور ميخائيل توفي في دمشق سنة ١٨٨٨ . له من المخطوطات : ١ كتاب حوادث سوريّة من اواخر القرن الثامن عشر في عهد الجزّار الى السنة ١٨٢٣ دعاه «الجواب على اقتراح الاحباب» منهُ نسخة في مكتبة جناب جرجي بك صفا . ٢ تاريخ في مشايخ لبنان وعناصره المختلفة . منهُ نسخة في مكتبة الكليّة الاميركانيّة على ما قيل لنا . ٣ الرسالة الشهابيّة في الالحان الموسيقيّة منها ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة . وهذه الرسالة قد نشرها المرحوم الاب لويس رونزفال وترجمها الى اللغة الفرنسويّة واضاف اليها مقدّمات وحواشي مفيدة . وذكر له ٤ في كتاب الروضة الغنّاء لنعمان افندي القساطلي «ترجمة البطريرك مكسيموس مظلوم وردّ على ابن الحموية لطعنهِ في المذهب الانجيلي» . ثم الّف ٥ كتاباً مطوّلاً في الحساب وجداول فلكيّة شتى

٧٣٧ ﴿المصوّر﴾ الخوري يوسف ابن الحاج انطونيوس تلميذ البطريرك افتيموس الانطاكي واحد كهنة الروم في اواسط القرن السابع عشر . ١ نقل الى العربيّة مع البطريرك مكاريوس الانطاكي كتاب تاريخ دوروثاوس مونوفاسية المسمّى التاريخ الرومي العجيب الجديد الذي هو من عهد آدم الى ايام قسطنطين السعيد منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ٢ عرّب كتاب الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم من عهد قسطنطين الى ايام السلطان مراد الثاني جيلالا . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ٣ عرّب عن اليونانيّة كتاب خلاص الخطأة لاغابيوس الاقريطشي . منهُ نسخ عديدة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت . وفي دار المرحوم بشارة الخوري تاريخها سنة ١٦٦٩ وفي مكتبة القبر المقدّس في القدس . ومنهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ٤ وعرّب ايضاً لاغابيوس المذكور كتاب الفرائد اللطاف في شروط الاعتراف . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ٥ ووجدنا له في مكتبة الحلبي في دمشق «خبر اوسوبس (Esope) الافريقي وسيرتهُ وهو صاحب الامثال»

استخرجهُ من الرومي الى العربي الخوري يوسف المدوّر

٧٣٨ ﴿ مطر ﴾ السيد اثاناسيوس البطريرك الملكي الانطاكي المتوفى في ٢١ كانون الثاني سنة ١٨١٣ . ألف ارشاداً الى معلمي الاعتراف طبع في الشوير سنة ١٨٠٩ . وعلى عهده عُقد في دير الزرقفة المجمع الانطاكي الذي ثبّتت احالة سنة ١٨١٠ فأبطلها الكرسي الرسولي . وله رسائل ومناشير لم تنشر بالطبع

٧٣٩ ﴿ المطران ﴾ هو الخوري يواكيم من بعلبك تلميذ عبدالله زاخر والمتوفى سنة ١٧٧٢ (وقيل سنة ١٧٦٦) في عكا واحد علماء طائفته له من التآليف : ١ً كتاب منارة الاقداس في تفسير القداس ألفهُ سنة ١٧٥١ . منهُ نسخة في مكتبة الصلاحية في القدس (Or. Chr., 1914, p. 117) ونسختان في مكتبتنا الشرقية تاريخ احداهما سنة ١٧٦٧ وقد طُبع الكتاب في بيروت . ٢ً كتاب الغصن الرطيب في معنى التقديس الشريف في ١٩ فصلاً اقتطفهُ من كتابه منارة الاقداس . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقية . ونسخة في مكتبة دير الشير . ٣ً كتاب الايساغوجي في المنطق منهُ ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقية . الواحدة منها بخط شاكر شقير سنة ١٨٧٧ . ٤ً التكميل في علم المنطق الجليل . منهُ نسخة في دير الشير . ٥ً الصحيفة المبتريّة في الاصول المنطقية ألفهُ في حلب سنة ١٧٥٩ . منهُ عدة نسخ في مكتبتنا الشرقية (نسختان) وفي لندن (Suppl. n° 46) وفي دير الناعمة ودير الشرفة ودير بجرصاف . ٦ً الايضاحات المنطقيّة في شرح الاصول المنطقيّة . منهُ ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقية . ٧ً له في مكتبتنا ايضاً سبع مواعظ في آلام السيد المسيح . ٨ً كتاب مواعظ على اناجيل آحاد واعياد السنة . ذكرهُ المطران عطا في تاريخ الملكيين . ٩ً رسالة مختصرة في الصلاة العقلية في مكتبة الصلاحية في القدس (Or. Chr. 1914, p. 116)

٧٤٠ ﴿ الطوشي ﴾ الاب بطرس الماروني اليسوعي المتوفى سنة ١٦٢٥ . طبع في رومية باللاتينية كتاباً في اصول اللغة العربية سنة ١٦٢٤ . وله بين مخطوطات الاسكندرية من مدن ايطالية غراماطيق سرياني عربي (ع ٢) وهو غير غراماطيقه بالشعر السرياني الذي ذكرهُ الاب جبرائيل قرداحي في الكنز الثمين . وقد طبع ايضاً في رومية سنة ١٦٢٢ بعض ميامر للقديس افرام

٧٤١ ﴿مظلوم﴾ البطريرك مكسيموس الحلبي الشهير المتوفّى في ١٠ آب ١٨٥٥ ـ طُبع من تعريبه (في رومية) من اعمال القديس الفونس ليغوري كتاب امجاد مريم ـ وواسطة الصلاة العظيمة والرياضة اليوميّة والزيارة للقربان الاقدس ـ ومن تآليفه كتاب الاصول الصرفيّة في القواعد العربيّة وقوانين مجمع عين تراز. وطُبع له (في مطبعة الفرنسسكان في القدس) تعريب تاريخ الحروب الصليبيّة ـ وحقيقة الانشقاق ودحض المصرّ على الانشقاق . وتعريب الاستعداد للموت للقديس ليغوري ـ وطُبع له (في مطبعتنا الكاثوليكيّة) كتاب كنز العبادة الثمين في اخبار القديسين والسيرة البرهانيّة في دوام الكنيسة الكاثوليكيّة ـ ورسالة في دحض آراء محاربي الايقونات ـ وكتاب المعين الرائق في خلاصة الحقائق وكتاب طريقة الزيارة لخادم البشارة ـ والرسالة الوجيزة البرهانيّة في تحرير الديانة النصرانيّة ـ وكتاب المساند الامين في اثبات القضايا الخمس المنكرة عند غير الكاثوليكيين ـ وطبع له (في القسطنطينيّة) رسالة الاعداد الرضيّة في المسائل الفرضيّة في الميراث ـ ورسالة في دحض الاعتقادات الباطلة ـ وبعض تآليفه المذكورة طُبعت غير مرّة في مطابع مختلفة ـ اما مخطوطات السيّد مكسيموس التي لم تُنشر بالطبع فهي في حلب في بيت اقاربه او في الدار الاسقفيّة هناك وفي بعض مكاتب الطائفة او الخاصّة فهي : ١ تاريخ الاضطهادات الشهيرة الاولى ـ ٢ اخبار اربعين قديساً من جهابذة الكنيسة الشرقيّة واربعين من الغربيّة ـ ٣ اعمال المجمع الاورشليمي ـ منه نسخة في مكتبتنا الشرقيّة ـ ٤ ردود على اضاليل البروتستانت منها في القسطنطينيّة سنة ١٨٤٧ ـ منه نسخة فيها ايضاً ـ ٥ دحض المضل وارشاد الضال ـ ٦ مؤلَّف تاريخي في سرّ المعموديّة ودحض الاراتقة بشأنه ـ ٧ رسالة في عدم انحلال الزواج ـ ورسائل اخرى في امور الكنيسة اليونانيّة وتقدّمها وخروج الطوائف منها ـ ٨ تاريخ الارتقات ودحضها ـ ٩ رُتَب كنسيّة مختلفة ـ ١٠ تعريب السكار الروماني ـ ١١ مواعظ عديدة في كلّ حقائق الدين

٧٤٢ ﴿المقدسي﴾ السيد جرمانوس الملكي الكاثوليكي مطران جبيل والبترون المتوفى في ١٣ شباط سنة ١٩١٢ (اطلب ترجمته في المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٤٥٦–٤٦٥) تُعرف مطبوعاته النفيسة الوطنيّة والتاريخيّة والادبيّة والطقسيّة منها الكلام الملي وسبيل الصلاح وحسن الختام ورحلة الفيلسوف اروماني في ترجمة السيد المسيح

ولوند وقتالها وحسناء بيروت والسلوة وذخيرة الاصغرين ورفيق العابد وتحقيق الاماني لذوي الطقس اليوناني والمتاون ومختصره والسوامي. ومن مخطوطاته التي لم تُطبع فصول ادبيّة وشذرات اخلاقيّة ونكت فكاهيّة باقية لدى تلاميذه يُنشدون بها من وقت الى آخر قراءهم في حلّة السرّة التي كان له الفضل في انشائها

٧٤٣ ﴿المعلوف﴾ الخوري برثينيوس من تلامذة مدرسة انتشار الايمان في رومية واحد رؤساء الرهبانيّة الحناويّة المتوفّى في ٢٠ آذار سنة ١٨٨٩ (اطلب ترجمته في كتاب دواني القطوف (ص ٥٣٥—٥٣٧) . طبع في مطبعة الشوير سنة ١٨٤٣ كتابه الموسوم بطريقة علم لاجل البروتستانيين. ويُذكر له تعريب بعض الكتب اللاهوتيّة والفلسفيّة املاها على طلبته

٧٤٤ ﴿المعلوف﴾ هو ناصيف اللبناني المتوفّى في ازمير في ١١ أيار سنة ١٨٦٥ (اطلب ترجمته للكاتب البليغ عيسى افندي اسكندر المعلوف في المشرق ٨[١٩٠٥]: ٧٧٣ الخ) . له مطبوعات عديدة تركيّة وافرنسيّة وانكليزيّة وايطاليّة مذكورة هناك (١٠٤٩—١٠٥٠) بينها قسم عربي كبادئ لقراءة ومحاورات ومخاطبات وغير ذلك ويُذكر له مخطوطات لم تُطبع

٧٤٥ ﴿المفضّل المصري﴾ هو ابن ابي الفضائل المسيحي من كتبة القرن الرابع عشر. ذكره في باب الفاء (الفضل كما ورد بالغلط في نخبة الخوري قسطنطين الباشا ص ١١) والصواب (المفضّل) هو مؤلف كتاب النهج السديد والدرّ الفريد في ما بعد تاريخ ابن العميد منه نسخة في مكتبة باريس (Paris, n° 4525) روى فيه اخبار مماليك مصر من عهد الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨—١٢٦٠) الى الملك الناصر بن قلاوون (٧٤١—١٣٤٠)

٧٤٦ ﴿مكاريوس﴾ هو القديس الناسك المعروف بالكبير المتوفّى نحو سنة ٣٩٢م . له في المكتبة الفاتيكانيّة (Vat. 84) درج قديم تاريخ نسخه سنة ١٠٥٥ يحتوي على ميامر القديس مكاريوس ورسائله . وفي مكتبتنا الشرقيّة حكم واقوال شتّى للقديس مكاريوس في آخر كتاب ميامر مار اسحق . وله ايضاً فيها كتاب نسكيّات مع نسكيّات مار باسيليوس

٧٤٧ ﴿مكاريوس﴾ البطريرك ابن زعيم الحلبي المتوفّى سنة ١٦٧٢ له تآليف

خطيّة كثيرة لم يُطبع منها الّا الشيء القليل وهذا ما يلغ اليهِ علمنا من مخطوطاته اطلب كتاب الاديب حبيب افندي الزيّات «خزائن الكتب في دمشق وضواحيها» (ص ١٤٠–١٤٣) . ١ً تاريخ وجدول الاربعة البطريركيات منهُ نسخة في مكتبة القبر المقدَّس في القدس . وفي مكتبة مدرسة البلمند وفي مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة دير الشير وعند الارشمندريت الياس بطارخ . ٢ً سعى مع تلميذه الخوري يوسف المصوِّر بتعريب تاريخ دوروثاوس اسقف مونوفاسية اليوناني المعنون «بالتاريخ الرومي العجيب الجديد الذي هو من عهد آدم الى ايام قسطنطين السعيد» منهُ نسخة جيدة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة المنسنيور جرجس منش في حلب . ٣ً وعني كلاهما ايضاً بتعريب تاريخ متى جيقالا المسمَّى الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم من زمن قسطنطين الى السلطان مراد الرابع . منهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان . ٤ً كتاب النحلة جمع فيهِ اخباراً متفرّقة دينيَّة وادبيَّة وتاريخيَّة نقلها عن كتب مختلفة وقسمها الى ٢٦ فصلاً . منها نسخةٌ في مكتبتنا الشرقيَّة وفي الدار البطريركيَّة في دمشق . ٥ً كتاب عجائب العذراء وهي ٦٨ اعجوبة عرّبها البطريرك مكاريوس عن اغابيوس الناسك في الجبل المقدَّس (آثوس) . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . ٦ً كتاب اخبار المجامع المسكونيَّة السبعة واسامي سائر رؤساء الكهنة الذين كانوا فيها . منهُ نسخة في مكتبة القبر المقدَّس . ٧ً كتاب الكنوز يشتمل على مقالات نافعة في مضمون الاعياد السيديَّة . ٨ً كتاب اخبار قديسين كتبهُ في بلاد الكرج سنة ٧١٧٣ لآدم (١٦٦٥م) ٩ً كتب طقسيَّة مختلفة ونظنهُ انهُ هو المخطوط في المكتبة الفاتيكانيَّة تحت اسم مجموع ادبيات ودينيات وطقسيَّات كتبهُ في حلب سنة ١٧٥٧ الاونطيوس سالم . ١٠ً ردّهُ على الكلوينيين منهُ نسخة في مكتبة باريس (Ms. 224) . طبعهُ المرحوم الاب انطون رباط في المشرق (٧[١٩٠٤]: ٧٦٦ و ٧٩٥) . ١١ً رحلة مكاريوس الى روسيَّة بقلم ابنهِ الشماس بولس زعيم . منها ثلاث نسخ في بطرسبرغ ونسخة في لندن . وقد نقلها الانكليزي بلفور الى الانكليزيَّة اما الاصل العربي فلم يُنشر منهُ الّا فقرات منها النخبة التي عُني بطبعها حضرة الخوري قسطنطين باشا في العام الماضي

٧٤٨ ﴿ مكاريوس ﴾ مطروبوليت ديار بكر كان في اواسط القرن السابق

نقل سنة ١٨٥٢ من السلافونيَّة الى العربيَّة كتاب ملخَّص صخرة الايمان في الردّ على البدع تأليف استفانوس ايفرسكي سنة ١٧٢٧ . منهُ نسخة في مكتبة القس بولس سباط (ROC. 1920-1921, p. 302) لعلَّها النسخة التي وجدناها في مكتبة المرحوم القس توما أيوب في حلب

٧٤٩ ﴿مكاريوس﴾ الشماس مثنيُّ مدرسة بطرس الثوفي سنة ١٧٣٧ . لهُ كتاب مواعظ مع ردّ على الكثلكة العربيَّة دعاهُ البوق الانجيلي . منهُ نسخة في مكتبة القبر المقدَّس (ع٨٩) وهو تعريب الاسقف اثناسيوس مخلّع عرّبهُ سنة ١٧٨٠ وقد طُبع في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت في مجلدين سنة ١٨٨٨ (البقيَّة)

العرفان وتلامذة اليسوعيين

نظر انتقادي بقلم جناب الشيخ سليم خطَّار الدحداح

طاش سهم صاحب العرفان بتحامله على اليسوعيين في ثلثة من اعداده فظنَّ انهُ بتهجُّمهِ على تلامذتهم يفوز ناجحاً . فجاءت ضربتهُ جائرةً عن الهدف كما في السابق ودونك البرهان على ما نقول:

قرأنا في الصفحة ٧٣ من الجزء الاول من السنة التاسعة لمجلة العرفان مقالةً عنوانها «في ذمَّة التاريخ ما يزعمون» احببنا ان نبدي حكمنا فيها بما يأتي :

كلٌّ يعلم انه في اثناء الحرب العموميَّة تسابق ابناء البلدان المظلومة التي كانت تحت نير الدول المركزية ونير الاتراك الى بسط مطالباتهم وشرح قضية امتهم املاً بالقاء نظر الحلفاء الى تحقيق امانيهم عند فوزهم النهائي . وفي عداد هؤلاء الشعوب وهؤلاء الكتبة لا بل في مقدَّمتهم كان ابناء لبنان خصوصاً وسوريَّة عموماً فانهم سواء كانوا في لبنان كما امثالهم في مصر ام في الاقطار الاوروبية قد دبجوا المقالات وخطبوا والفوا الكتب سعياً وراء إدراك مشتهاهم ملتجئين الى صداقة فرنسا وتقاليدها الموروثة مع

اجدادهم ليحصلوا على الاستقلال المنشود. وكان من جملة من وضعوا التآليف في هذا المعنى سعادة اغوست باشا اديب سكرتير دولة لبنان الكبير حالاً. فانه كان موجوداً في مصر في مأمورية رئيسية في مالية تلك الدولة التي قضى في خدمتها اكثر من ٣٥ سنة ولانه كان رئيساً لحزب الاتحاد اللبناني فانه وضع في شهر اغسطس من سنة ١٩١٨ تأليفاً افرنسياً دعاه باسم « لبنان بعد الحرب » وقد اعتنت جمعية الاتحاد اللبناني بمصر بتعريبه. فنشرته مطبوعاً في حزيران سنة ١٩١٩ معرباً بقلم الشيخ فريد حبيش. والمطبوع قد نشر فيه بعض جداول يبيّن فيها عدد سكان المحلات التي كان يطلبها جبل لبنان بصفة كونها اقساماً طبيعية منه ومتممة له وقد سلك مسلك جميع المؤرخين والجغرافيين — فضلاً عن رسميات الحكومة — بانه قسم هؤلاء السكان بالنسبة الى طوائفهم وفرقهم المذهبية. ولا غرو ان الارقام التي ذكرها كان اكثرها ان لم نقل كلها مغلوطاً واذا رواها على علاتها ولا حرج عليه في ذلك لاسباب عديدة: (اولها) واهمها انه لم يكن يوجد احصاء رسمي مضبوط في عهد الدولة العثمانية — (وثانيها) ان الدولة العثمانية لم تجر في احصاءاتها على خطة ثابتة فكانت مثلاً تفرز ابناء الشيعة في لبنان القديم عن بقية المسلمين وتذكرهم باسم متاولة واما في ولايتي بيروت وسورية اي الشام فانها كانت تدمجهم في عداد اهل السنة تحت لفظة مسلمين. وكذلك كانت تفعل مع الدروز فانها كانت تعدهم وحدهم وتفصلهم عن المسلمين في جبل لبنان القديم وفي جبل الدروز في حوران وكانت على خلاف ذلك في سائر حوران وحاصبيا وراشيا لا تفرزهم عن الباقين. واما النصيرية والاسمعيلية فالذي يطالع احصاءات الدولة العثمانية وسالناماتها لا يجد لاسمهم اثراً. وذلك لانها كانت تدعوهم جميعهم مسلمين

وان راجعت تآليف الكتبة الاجانب والافراد الخصوصيين تراهم على اختلاف عظيم في تقدير عدد اهالي مدن وولايات الدولة العثمانية. لنا في معجماتهم السياسية والجغرافيات اكبر شاهد على صحة ما نقول. أفيجوز لصاحب العرفان ان يلقي الملام على اغوست باشا اديب لانه لم يذكر الا ٣٧،١٥٠ من المتاولة في الاحصاءات التي اوردها في احد جداول تأليفه السابق الذكر؟

كذلك ان حكومة متصرفية لبنان القديمة سواء كان في نظامها الاساسي المصدّق

من الباب العالي والدول ام في قرارات مجلسها الاداري كانت تذكر الطوائف الرئيسية الستة وتسمي ابناء الشيعة رسمياً باسم متاولة . وكان المأمورون من ابناء الشيعة يكتبون بخط يدهم «عضو المتاولة» و«طائفة المتاولة» وعضو «متوالي» و «كاتب متوالي» فلو كان تحت لفظة متوالي ومتاولة ما يُشتَمّ منه شيء من الاحتقار او الامتهان — لا سمح الله — لما كانت الدولة العثمانية وهي اسلامية تسمح بذلك ولما كان الاعضاء والمأمورون الشيعيون يقبلون به ويكتبونه بخط يدهم . فأيّ حرج على اغوست باشا ان يذكرهم تحت اسم متاولة ؟ وهل من داعٍ لاستياء صاحب العرفان على سعادته ؟

اخيراً وهنا وجه المغالطة الذي لا يجوز لمجلة رصينة معروفة بالتحقيق والتدقيق مثل مجلة العرفان ان تقع فيه . معلوم انه بعد اعلان استقلال دولة لبنان الكبير في ١ ايلول سنة ١٩٢٠ وقع اختيار الجنرال غورو على سعادة اغوست باشا اديب فعيّنهُ ناظراً (او مديراً كما كان يقال حينئذٍ) للمالية ثم في ايلول سنة ١٩٢١ نُقل الى امانة السرّ العام لهذه الدولة . وفي المدّة التي انقضت بين ايلول ١٩٢١ وبين ايار ١٩٢٢ أُجريت حكومة لبنان الكبير احصاء نفوس الدولة فبلغ مجموع الانفس من ابناء الشيعة مئة الف وخمسة آلاف نفس . فكيف يجوز لكاتب تلك المقالة في مجلة العرفان ان يستغرب وقوع هذه الفروق بين العدد الرسمي وبين العدد الذي ذكره اغوست باشا وهو امين سرّ الدولة ؟ هل فات ذكاءهُ وحدقه وصحة نقده ان اغوست باشا طبع كتابه في مصر في سنة ١٩١٨ وهو منفصل تمام الانفصال عن لبنان بسور من النار والمدافع ولا ادنى افادة رسمية بيده وانه لم يصر سكرتيراً لدولة لبنان الا منذ ايلول سنة ١٩٢١ وان العدد الرسمي الذي عُرف من احصاء لبنان الكبير لم يثبت الا في اذار سنة ١٩٢٢ ؟ فيا لله كم من غلطة لا تُقال في قلم صاحب العرفان !

فعلى من تقع تبعة التزوير والتحريف بعد هذا الايضاح أعلى اليسوعيين وتلامذتهم الذين منهم سعادة اغوست باشا اديب ام على هذا المنتقد الذي لم ينظر او لم يشأ النظر الى اختلاف هذه التواريخ ؟ ألا فليتّقِ الله هؤلاء الذين يدعون السعي باصلاح الامة ويضعون ذواتهم في مقدمة الائمة والعلماء ! أفهذا الحدّ تجوز مغالطة الادباء ؟ او ليس «في ذمّة تاريخه ما زعم»

فاين ما يؤخذ به سعادة الوست باشا اذا سمّى ابناء الشيعة باسم متاولة وكانوا هم يذكرونه من انفسهم؟

واين تعصّبهُ وغلطهُ اذ نشر سنة ١٩١٨ ارقاماً لم تُعلم حقيقتها الرسميةُ الّا في اذار سنة ١٩٢٢؟ وكيف يريد حضرة المنتقد ان يعرف المؤلف في ١٩١٨ نتيجة احصاء سنة ١٩٢٢؟ ولو كان المؤلف نشر ما نشر عن تعصّب لما كان ذكر للروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والدروز ارقاماً تخالف العدد الذي اثبته احصاء سنة ١٩٢٢

وكيف يزعم ان حضرة المؤلف الكبير قد تأثّر في آب سنة ١٩١٨ مما اجراه بعض جهلاء واشقياء جبل عامل في ربيع سنة ١٩٢٠ فاقضى به تأثّره الى تزوير عدد المتاولة وتقليلهم ؟ هل يريد ان ينسب له معرفة الغيب ؟

واي حجاب سدله على وجه الحقيقة بعمله هذا؟ اليس الحجاب على بصيرة كاتب مقالة العرفان ؟

أمّا ما ختم به المنتقد كلامهُ بحق الآباء اليسوعيين فاننا نخجل عنه لما قالهُ في حقهم تهجّماً وافتراء واليسوعيون اسمى من ان ينالهم سهمٌ ايٌّ كان ولهم في عالم الدين والادب مقامٌ يقصر عن ادراكه صاحب العرفان ومن يضرب على وتره

﴿ تنبيه للمشرق ﴾ وقد اضاف صاحب العرفان الى هذه النبذة الدالّة على استقامته وصواب حكمه شذرةً أُخرى روى فيها ما كتبهُ في دليل سوريا بولس افندي مسعد عن المتاولة واخلاقهم وفي كلام الكاتب ما فيه من الانتقاد الذي لا نشاء أن نصوّبهُ او نكذّبهُ . لكن صاحب العرفان على مألوف عادته انتهز الفرصة ليرشق اليسوعيين وتلامذتهم بسهامه القاتلة فقال: «ومن يدلّنا من هو بولس مسعد هذا فان كان تلميذ اليسوعيين كزميله معالي الباشا فلا عجب ...»

فنجيب ان جناب بولس افندي ليس من تلاميذنا ولو كان منهم لما تبرّأنا منهُ وقد أُطلعنا على حسن آدابه . تندّع له الحقّ بتجربة تنبيه ولا بدّ انهُ يكون روى في دليله ما بلغ اليه علمهُ او نقلهُ عن مصادر ثقة ويكفيه ان يذكر لصاحب العرفان تفنيداً لاحتجاجه ما كتبهُ اثنان من المسلمين في وقت الحرب بامر عزمي بك والي بيروت ففي دليل ولاية بيروت القسم الجنوبي (ص ٢١٥-٣٢٠) فصل عنوانهُ

« الجزويت التسارلة » يجب على صاحب العرفان ان يتأمّلهُ فيعدل عن الطعن بتلامذة اليسوعيين الذين بينهم الشيعيُّون الاشراف والمفتخرون باساتذتهم وقد اثنى عليهم مؤخرًا جلالة شاه العجم عند زيارته لمكتبنا الطبي اطيب الثناء . وطلب هو وحاشيته لوائح المدارس اليسوعية ليرسلوا اليها انجالهم كما فعل سابقاً فرمان فرما من كبار دولته واقارب جلالته . فمتى يا تُرى يعدل صاحب العرفان الى الانصاف ؟

الكثيسة الكاثوليكية

بازاء ديوان التفتيش

نظر تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ورد علينا من غدراس بفتوح كسروان سؤالان عرضهما علينا الاديب اسكندر افندي عون على هذه الصورة طالباً الجواب عنهما

١ هل المراطقة الذين كان يُحكم عليهم بالحريق والتزبق وبعقابات اخرى صارمة كانت تلك الاحكام تصدر من ديوان التفتيش المؤسس من البابوات او من سلطة الملوك والحكّام ؟

٢ فان كانت تلك الاحكام من الملوك والحكّام وهي بالطبع جائرة أَمَا كان يمكن البابوات ان يمنعوا عنها ؟

الجواب

انَّ ديوان التفتيش واحكامهُ على المراطقة احد التهاويل الثلثة او الاربعة التي لا يزال يردّدها اعداء الكثيسة الكاثوليكية ويصمُّون الآذان عن قبول تفنيدها مهما سعى العلماء الثقات في بيان وجه الحقيقة . ولا شكّ ان جناب الكاتب تأثّر ببعض ما ينشرهُ المتشدّقون ليقف على صحة الامر ويبدي فيه حكماً صائباً فنلبي دعوته بطيب الخاطر . على أنّنا لا نحاول البحث عن هذه المسألة بكلام طويل تضيق عنهُ صفحات المجلة وانما نعرضهُ موجزًا بحيث يكفي لازالة الاوهام الباطلة عن عقل طالبي الحقيقة الذين لا يسعهم مراجعة التآليف الواسعة التي ابرزها العلماء الكاثوليك

١ ﴿ ما هو ديوان التفتيش ﴾ هو ديوان شرعي ألّفتهُ الكثيسة لبحث عن الاضاليل الدينيّة ولاسيما الهرطقات المضرّة ضررًا عظيماً للايمان المستقيم ولنظام السلطة الروحيّة بل للهيئة الاجتماعيّة نفسها

٢ ﴿ما هو اصلهُ﴾ اصلهُ من حيث تلافي شرور الضلال واستدراك التعاليم الكفريَّة يرتقي الى اوائل الكنيسة نفسها اذ انَّ المسيح بتخويله سلطتهُ الالهيَّة لرسله جعل وديعة الايمان في يدهم ليحفظوها ويدافعوا عنها لئلَّا تُصاب بأذى وهو القائل جلَّ اسمهُ (متى ١٨ : ١٧) : «من لم يسمع من البيعة يُعتبر كوثنيّ وعشّار». وفي اعمال الرسل ورسائلهم ما يثبت حرصهم على تلك الوديعة الثمينة وتصدّيهم لمن يخلّ بها. وكفى بذكر ما كتبهُ بولسُ الرسول الى تلميذه طيطس (١ : ٧-١١) : «ينبغي للاسقف ان يعظ بالتعليم الصحيح ويحاجّ الناقضين لأنَّ كثيرين هم عُصاة وذوو كلام باطل وخداعون ولاسيا الذين من الختان فينبغي ان تُسدَّ افواههم». ومثلهُ في رسالته الثانية الى تيموثاوس (٣ : ١-٤) : «اكرِز بالكلمة وحاجج ووبّخ.. فانهُ سيأتي زمان لا يحتملون فيه التعليم الصحيح بل على وفق شهواتهم... فيصرفون مسامعهم عن الحقّ ويعدلون الى الخرافات». ولمَّا كان الاساقفة في الكنيسة هم خلفاء الرسل ولاسيَّا الحبر الاعظم خليفة هامتهم اقتضى عليهم ان يسيروا في حفظ وديعة الايمان على مثال تلامذة السيد المسيح وفقاً لما ورد في سفر الاعمال (٢٠ : ٢٨-٣٠) في خطاب بولس الرسول لاساقفة آسية في افسس حيث قال: «احذروا لانفسكم ولجميع القطيع الذي اقامكم فيه الروح القدس اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه فاني اعلم انهُ بعد فراقي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تُشفق على القطيع... فاسهروا اذن...»

وبناء على هذه المراقبة الحبريَّة والاسقفيَّة عُقدت المجامع المسكونيَّة والمحليَّة لاثبات حقائق الايمان والضرب على يد من ينتهك حماها

٣ ﴿ديوان التفتيش الروماني﴾ ان اتساع حكم الكنيسة الكاثوليكيَّة وانتشارها بين الامم القاصية كان يقضي بزيادة حرص على سلامة التعاليم المسيحيَّة وتلافي ما ينجم من الحاكم الاسقفيَّة الخاصَّة من التواني في التشدُّد على المتَّهمين بالضلال وبعكس ذلك التراخي في محاذيرهم فحكم رؤساء الكنيسة الاعظمون باقامة ديوان لهُ تُرفع اليه الدعاوي المختصَّة بالايمان ليقضي بصحة تلك التعاليم فيجزّ قائليها او يزيّفها ويعلن للكنيسة بفسادها ساعياً بإنارة القائلين بها ليرتدّوا الى المعتقدات الصحيحة

وممَّا دفع الاحبار الرومانيين ايضاً الى اقامة الديوان المذكور رغبتهم بان يلطفوا احكام السلطة المدنية التي منذ عهد قسطنطين وخلفائه القياصرة المتنصرين كانوا

يعتبرون الشرود عن الايمان والمجاهرة بالهرطقة كجنايات دولية لما ينجم عنها غالباً من الفتن فكانوا يحكمون على اصحابها بالعقوبات الادبيّة الصارمة من ضرب وقطع وقتل فان قضاة الدولة حكموا غير مرة بالاعدام على اتباع ماني وغيرهم من الهراطقة . وكانت الكنيسة تأنف من هذه الاحكام فاننا نجد في ما كتبهُ الآباء كالقديس يوحنا فم الذهب والقديس امبروسيوس اسقف ميلانو والقديس مرتينوس اسقف طور في فرنسة رسائل الى الملوك يوذلون فيها تلك الاحكام ويطلبون الاجتزاء بالتأديبات الروحية كالحرم والمنع من الاسرار

الا ان تحامل الهراطقة على المؤمنين واضطهادهم لذوي الدين المستقيم بيّن لكل العقلاء انهُ لا بدَّ من ردّ كيد هؤلاء في نحرهم . فانَّ القديس اوغسطينوس الذي كان في اول الامر لا يرضى بغير العقوبات الادبيّة استصوب اخيراً التأديبات المادية كالحبس ودفع الغرامات والنفي الا انهُ لم يشأ ان يُقتل احد لمجرد الهرطقة . وعلى رأيهِ سار معظم الآباء واللاهوتيين في جهات الغرب . على ان الشعب ما كان ليرضى بمثل هذه الاحكام المعتدلة فكثيراً ما كان يثور على المبتدع ويوسعهُ ضرباً وقتلا الى ان يموت بيدهِ . ثم استفحل الشرُّ وزاد الامر تفاقماً بظهور بدع الكثاريين والألبيجيين في جنوبيّ فرنسة في اواخر القرن الثاني عشر فكانوا اشبه بالبولشفيك يطوفون البلاد ويعيثون فيها فساداً بالنهب والسلب والحريق والقتل بحيث اصبح وجودهم آفة للهيئة الاجتماعية والنظام المدني . فالتجأ الامبراطور فردريك الثاني بربادوسا الى البابا لوشيوس الثالث واتفقا في توحيد السلطتين الروحيّة والمدنيّة للضرب على ايدي هؤلاء . الأئمة الثلاثة فاجتمع الاساقفة في مدن شتى وألفوا لجناً للبحث من اولئك الهراطقة حتى اذا وقفوا على افكارهم السيئة يرفعون دعواهم الى الديوان الاسقفي الذي بعد التفتيش الدقيق واثبات جرمهم وعنادهم يسلمهم الى الديوان المدني الذي لهُ ان يرتأي في امرهم ما يشاء من العقاب حتى الحكم بالاعدام والعقاب بالنار كما كان الامر شائعاً في ذلك العهد . وكان للاحبار الرومانيين مَن يمثلهم في هذا التفتيش . ومن جملتهم كان القديس دومنيك منشئ رهبانية القديس عبد الاحد

على ان فردريك الثاني لم يجد في الدواوين الاسقفية غيرة كافية لكبح الفساد والشدّ على نفسه ان يدوّن تقريراً شديداً في حق الهراطقة ليضع حداً لتطاولهم

وزجاساتهم ونشره سنة ١٢٢٠ في قبلاً فخالف البابا اينوشنسيوس الثالث ثم خلفه غريغوريوس التاسع ان يتبذ الامبراطور بمحاكمة الهراطقة وجرمهم قبل كل جرم ديني ولذلك عيّن البابا غريغوريوس ناظراً رسولياً من قبله لمراقب انحاء البلاد الموبوءة بالهرطقة ويؤلف محكمة لا حكم للاساقفة عليها التفتيش على نافثي سموم البدع وقطع دوابرهم بتسليمهم للحكم المدني الذي له ان يعاقبهم كيفما شاء . وهذا هو ما عُرف بعد ذلك بديوان التفتيش الثابتة الحبر الاعظم بالرهبان الدومنيكان سنة ١٢٣٣ ولم يُنظم هذا الديوان في كل دولة وانما أُقيم فقط في البلاد التي كان يُخاف فيها من مساوئ اولئك الهراطقة . وكان لهذا الديوان دستور خاص في بنود متعددة يجب على اعضائه ان يجروا عليها ولا يحيدوا عنها لئلا يجوروا بحكمهم او يحكموا جزافاً . وكان محظوراً عليهم ان يحكموا بالاعدام على احد بل لم يُسمح لهم باستعمال ادوات العذاب الّا نادراً جداً . وكانوا اذا وجدوا مبتدعاً مصرّاً على عناده وسوء تصرفه حكموا عليه ببعض القصاصات الروحية بل المادية ايضاً كالحبس او الغرامة المالية وما كانوا يسلمونه الى القضاة المدنيين الّا اذا كان ذا سوابق وعناد نجس مؤدّية الى مفاسد او كان من زعماء الهراطقة فيجري القضاة في حقه القانون الشائع في ذلك العهد اعني ان يُحرق بالنار ما لم يتُب من كفره واثمه فاذا فعل عُفي عنه . امّا عدد الذين اسلمهم ديوان التفتيش الروماني لحكم الديوان المدني فقليلون جداً كانوا في ديوان مدينة طولوز بنسبة عدد الواحد الى ٢٦ مجرماً وكان ديوان التفتيش محصوراً في بعض البلاد فقط ولا يتجاوز حكمه الى غير النصارى الخاضعين لرومية . فمن يا ترى ينكر على الكنيسة سلطتها على محاكمة ابنائها ؟

هذا كان ديوان التفتيش الروماني فانه اذى الكنيسة والمجتمع الانساني خدماً لا تُحصى بما منعه من الشرور والمظالم وقد اقرّ اعداء الكنيسة انفسهم انّ الذين كان الكرسي الرسولي يعهد اليهم رئاسة ديوان التفتيش كانوا رجالاً افاضل وعلماء لا يحابون الوجوه ويجرون في تفتيشهم بكل نزاهة كما انهم حكموا بعدالة القوانين التي وضعها الاحبار الرومانيون لذلك الديوان وصرّحوا بانها ملؤها حكمة وفطنة . ولا ننكر انّ في ديوان مثل هذا وُجد في مرّ الاجيال بعض الافراد الذين تجاوزوا الحدود ونسوا روح الوداعة المناسب لدرجتهم وانّما كان ذلك على طريق الشواذ وكان

البابوات اذا علموا بتطرُّفهم كتبوا لهم ووبَّخوهم على فعلهم كما يتَّضح من بعض رسائلهم . امَّا ما يرويه الاعداء في دعوى غليلاي فقد فنَّدناه بفصلٍ موسَّع عنوانهُ «صواب الرأي في دعوى غليلاي» (فليراجع في المشرق ٩ [١٩٠٦]: ١٧٨—١٨٤ و٥٧٩).

وديوان التفتيش الروماني هو اليوم احد المجامع المقدَّسة في رومية يرأسهُ قداسة الحبر الاعظم بنفسه ولهُ كاتم لسرار من الكرادلة . فمن اختصاصات هذا المجمع المحافظة على كلّ امور الايمان والآداب به يرتبط الحكم في المؤلفات والكتب المحرَّمة وفي المسائل الاعتقاديَّة المتعلقة بالاسرار وخصوصاً بسرّ الزواج

٤ ﴿ ديوان التفتيش الاسباني ﴾ كثيراً ما يخلط الكتبة بين ديوان التفتيش الروماني الذي مرَّ ذكرهُ وعرفتَ فضلهُ وبين الديوان الاسبانيّ الذي غلبتْ فيه السياسة على الدين . والفرق بينهما من وجوه مختلفة من حيث اصلهِ وغايتهِ ووسائطه وتدبيرهِ

﴿ اصلهُ ﴾ يرتقي اصل هذا الديوان الى القرن الخامس عشر أعني . سنة ١٤٧٨ بإغراء الملك فرديناند المعروف بالكاثوليكيّ والملكة ايزابيل قرينتهِ وكلاهما من اعظم ملوك زمانهما كفاهما فخراً انَّ كريستوف كولومب تمكّن بفضلهما من اكتشاف اميركا . فهما اللذان طلبا من البابا سكسطوس الرابع ان يؤلّف في مملكتهما ديواناً للتفتيش فرضي بذلك

﴿ غايتهُ ﴾ كانت غاية ديوان التفتيش الاسباني مضاعفةً دينيَّةً من جانبٍ وسياسيَّةً من جانب آخر . وجدت الملكة ايزابيل وفرديناند الملك زوجها بلاد اسبانية لمَّا جلسا على عرش الملك عرضةً للفتن والدسائس هدفاً لاعداء المملكة

وكان العدوُّ الاكبر والالدُّ العنصرَ اليهودي . فانَّ اليهود كانوا منذ ثلثمائة سنة نموا وتشدَّدوا واحتكروا على معظم ثروة اسبانية بالربا وضروب الدسائس فاستولوا على كثيرٍ من مناصب الدولة وبثُّوا بين الشعب زؤان تعاليمهم الفاسدة والاطيابيم المستقبحة . وكان ملوك اسبانية توسَّلوا بوسائل متعدّدة تارةً باللطف والاقناع وتارةً بالعنف والجبر ليردُّوهم الى الايمان المستقيم فأتت مساعيهم احياناً ببعض النتائج الحسنة لاسيما بمساعدة المرسلين والرهبان وخصوصاً بمساعي القديس الدومنيكي فنسان فيريه رجل العجائب الذي ردَّ الالوف منهم فحسُن تنصُّرهم . الَّا انَّ القسم

الاوفر ما كان يتظاهر بالنصرانية الاَّ مُكرَهاً خوفاً من النفي او استصفاء الاموال وكان مثل هؤلاء المتنصرين اعظم شرّاً واوفر خطراً على الدولة لسعيهم بالرياء والمكر. فلم تجد ازابيل وفرديناند زوجها وسيلة لحفظ البلاد من هذا الداء الوبيل الاّ بانشاء ديوان التفتيش

وكان في الوقت ذاته خطرٌ آخر يتهدد الدولة . وذلك انَّ فرديناند وزوجته توفقا في السنة ١٤٩٢ فتتحا غرناطة وهي آخر معقل كان المسلمون ثبتوا فيه بالاندلس بعد سقوط بقية بلادهم في ايدي ملوك اسبانية . ثم عرضا على المسلمين احد امرين امَّا البقاء في املاكهم مع التنصُّر واما الخروج من تلك البلاد فرضي كثيرون بان يدينوا بالنصرانية حرصاً على اموالهم . بيد انَّ اولئك المتنصرين لم يرتدُّوا عن يقين وثبتوا باطناً على معتقدهم . ومن ثمَّ اصبحوا باختلاطهم مع النصارى المؤمنين وباشتراكهم معهم بالمعاملات والزواج وكلِّ مناصب الدولة حجرَ عثار في سبيل الكاثوليك. فاستدعت هذه الحالة الحرجة الملكين فرديناند وازابيل الى اطلاق سلطة ديوان التفتيش عليهم ايضاً مع اليهود لسلامة المملكة وحفظ دينها المستقيم

﴿ تدبير ديوان التفتيش الاسباني ﴾ انَّ تدبير هذا الديوان كان في ايدي ملوك اسبانية . يعيّن الحبر الاعظم بعينه له رئيساً يتولَّى شؤونه مع لجنة خاصة من رجال الدين والعلماء يجمع اليهم الفحص عن صحة الشكاوي المرفوعة اليهم واستماع الشهود ودفاع المتهم عن نفسه ليحرزوا الحكم الصائب في حقه . وانما كان الملك هو الذي يؤلف من لدن دولته شورى لتنفيذ احكام اللجنة الناحصة بالعقاب المناسب . وانما كان للملك سلطان على اللجنة نفسها في انتخاب اعضائها بل في تعيين رئيسها . وبذلك اصبحت اللجنة غير مرة تحت نفوذ سلطة الملوك وآلةً لغاياتهم الشخصية . فاضطر الاحبار الرومانيون ان يحتجوا على اعمال ذلك الديوان ويبلّغوا الملوك عدم رضاهم بها . بل ضربوا بالحرم رئيسه كما فعل البابا لاون العاشر الذي حرم رؤساء ديوان التفتيش الاسباني سنة ١٥١٩ واوامر احباره غيرهم بان ترفع دعاوي ذلك الديوان الى الكرسي الرسولي ليبدوا فيها حكماً أعدل وانزه كما فعل البابا القديس بيوس الخامس اذ ابطل حكم ديوان التفتيش بحق برتلماوس دي كارَّانزا رئيس اساقفة طليطلة الذي كان الديوان حكم عليه دون تروٍّ . ولا شكَّ انَّ الديوان الاسباني تجاوز حقوقه غير مرة

وفضّل اصحابهُ مشيئة الملك على صوت الضمير . الّا انهُ لا يجوز ان تُنسب الى الكنيسة تلك الاحكام غير المعتدلة التي صدرت من الديوان المذكور على خلاف رضى الحبر الاعظم . وكذلك العقوبات التي كانت شورى الدولة تجريها في حقّ المتهمين بعد فحصهم كان المسؤول عنها اهل الدولة خصوصاً فجاروا في حكمهم مرارًا

على انّ هذه الاغلاط والمعاملات المذمومة لا تكاد تُحسب اذا قوبلت بالنتائج الحسنة التي صدرت من هذا الديوان الاسبانيّ نفسه . فانهُ ضمّ اطراف الدولة الاسبانيّة وطهّرها من العناصر الغريبة الساعية في فسادها

فلمّا ظهرت البدعة البروتستانيّة واستفحل شرُّها في المانية وانكلترة وبلاد الشمال وفي قسم كبير من فرنسة فقامت الحروب الدينيّة على ساق ومات بسببها عشرات الالوف ومئات الالوف من الناس بقيت اسبانية في هدوءها وسكينتها ورقيّها بفضل ديوان التفتيش

وكذلك لمّا قامت جلبة الجنسينانيّين والفلاسفة الملحدين والثورة الكبرى في فرنسة فسعى دُعاة هذه البدع والمذاهب في القرن الثامن عشر ان ينشروا في اسبانية عدوى اضاليلهم وينفثوا فيها سمومهم كان ديوان التفتيش سورًا منيعاً صان تلك البلاد من مفاسد تلك الفتن وابقى لاسبانية دينها وشرفها

امّا ما يُنسب الى اصحاب هذا الديوان من الاعمال السيّئة وخرق الحدود فاننا مع تسليمنا ببعضه وتقبيحنا لتلك المساوئ لا بدّ ان نقول في تلطيف تلك الشكايات:

(اولًا) ان ديوان التفتيش الاسبانيّ مع كلّ ما اتاهُ من سوء التصرّف بسلطته لم يبلغ قطّ ما بلغهُ زعماء الاصلاح الموهوم كلوثاروس في المانية وكلوينوس في جنيفة وهنريكوس الثامن وابنته الملكة اليصابات في انكلترة مع اعدائهم عموماً ومع الكاثوليك خصوصاً فانّ التاريخ مشحون بالشهادات الناطقة بجورهم وظلمهم وتحاملهم على كل من لا يوافقهم على آرائهم الفاسدة وذلك بمجرّد ارادتهم ودون حكم شرعي

(ثانياً) انّ استعمال آلات العذاب في ديوان التفتيش للحصول على اقرار المذنبين لم يكن امرًا غريباً في زمانه بل كان القاعدة العموميّة في كل محاكم اوربّة بلا استثناء. فالاعداء الكنيسة يسكتون من بقيّة الدول ولا يلومون في استعمالها غير ديوان

التفتيش كأنهُ هو المتفرّد باستعمالها؟ فاين الانصاف؟

(ثالثًا) ومما لا يُنكر ان ديوان التفتيش سبق كلَّ المحاكم الاوربيّة في إلغاء ادوات العذاب لاستنطاق المجرمين . وهذا ما اقرَّ به المؤرخ لورنت (Llorente) احد اعداء الكنيسة الألدّ سنة ١٨٢٣ في تاريخهِ عن ديوان التفتيش قال: « قد ألغى ديوان التفتيش منذ زمن طويل استعمال العقوبات الجديّة في استنطاقاته » وكان سكسطوس الرابع وهو حبرٌ . الديوان الاسباني اوّل من احتجّ على استعمال الصادرات والتنكيل . كما يظهر من رسائلهِ

(رابعًا) وكذلك سجون ديوان التفتيش فانَّ لورنت المذكور يقول عنها انها « كانت عمومًا نظيفة خالية من الرطوبة مبنيّة بالعقود ولم يُثقل فيها احدٌ بالاغلال . وكانت تلك السجون لو قوبلت بسجون الدول كالقصور بالنسبة الى مساكن العامّة »

(خامسًا) وكذلك يزعم اعداء الكنيسة انَّ عدد ضحايا ديوان التفتيش في اسبانية بلغ عشرات الالوف في زمن قصير والصحيح كما اثبت لورنت انَّ عدد المحكوم عليهم بالاعدام في مدّة ٣٣١ سنة التي بقي ديوان التفتيش في عملهِ لم يتجاوز ٣٥٠٠٠ اعني ١٠٠ بالتقريب في السنة . ولم يُحكَم الا على نصفهم فقط لسبب جنايات دينيّة والباقون حُكم عليهم لغير ذلك لان الديوان عينهُ كان ايضًا يبحث في جنايات شتّى كاللصوصيّة والسحر والزنا الفاحش . قال المؤرخ الانكليزي كوبّت (W. Cobbett) « انَّ الملكة اليصابات الانكليزيّة مناصرة البدعة البروتستانيّة قتلت في سنة واحدة اكثر مما قتلهُ ديوان التفتيش في طول مدّة وجودهِ . ولولا اضطهادات امراء البروتستانت الدمويّة لما امكنهم ان يمدّوا سلطتهم على المانية وسواها »

فترى من كل هذه الملحوظات انَّ اعداء الذين لا يرون الخشبة في عينهم وعيونة اصحابهم ويحاولون نزع القذى من عين الكنيسة . ففيهم يصح قول الرب (متى ٧: ٥) : « يا مرائي اخرج اولًا الخشبة التي في عينك ثم تأتي وتنزع القذى من عيني »

ومما سبق يستطيع السائل ان يستخلص الجواب على سؤالهِ وعلى اعتراض المعترضين والسلام

القصيدة

المساة عند الدروز بشعر النفس

بقلم احد قرائنا الباحثين المدققين

ايها الاب الجليل

قرأت في الشرق الاغرّ الصادر في كانون الثاني سنة ١٩٢٣ (ص ٨٧٩) تحت عنوان «شعر النفس» ثمانية ابيات لاحد شيوخ الطريقة عند الدروز وإسمه ابو ابرهيم اسمعيل بن محمد التميمي - وهذه الابيات من قصيدة لها منزلتها عند اصحابها فاردت ان اقدّمها لكم بتمامها لكي تنشروها كاملةً وقد نقلتها عن الاصل المكتوب بخط الامير شرف الدين عيسى بن شهاب الدين احمد بن زين الدين صالح المتوفى سنة ٨٢٦هـ (١٤٢٣م) بحرفها الواحد :

الى غاية الغايات قصدي ومُنيتي   الى الحاكم العالي على كلّ حاكمِ

الى الحاكم المنصور عوجوا وأمّوا   فليس فتى التوحيد فيهِ بنادمِ

هو الحاكم الفرد الذي جلّ إسمهُ   وليس له شبهٌ يقاس بحاكمِ

حكيمٌ عليمٌ قادرٌ مالك الورى   يؤآنسُ بالاسم أُلْشاع بحاكمِ (كذا)

غدا السّابقُ السامي اليهِ وتاليهِ (١ كذا)   مع الجدّ والفتح الخيالِ الملاومِ (كذا)

عبيداً لمولانا خضوعاً لأمرهِ   وكلُّ فتًى في الدين عبدًا لآدمِ (١

هو الواحد العالي على كل علّةٍ   وما غيرها الّا كعبدٍ وخادمِ

(١) يريد تاليه فحذف الياء . والسابق والتالي هما مع آخَرَ اسمهُ حارة (كذا بالنسخة المربوطة) خلقوا العالم وابرزوهُ من العدم الى الوجود الآن حارة راغ بخيها ولقد فطرداه.

هو الحاكم المولى بناسوته يرى ولاهوتهُ يأتي بكلّ العظائم
الى الحاكم المولى هلمّوا وأقبلوا فتوحيدكم يصدق(٢ على كل حازم
اذا الحاكم العالي تعالى بنو كبو فوحّد بعين العلم بين العوالم
تسمّى اماماً والامام فعبده تيقّظ ولا تصغي الى كلّ نائم
وقد ظهر المولى فآنس عبيدهُ بافعالهم انباً بحكمة حاكم
ظهوراً بافعال العبيد وشكلهم وبأنسهم والخلقُ شبهُ البهائم
اذا بثّنا التوحيد طاشت عقولهم وراموا انتهاشاً مثل نهش الاراقم
سيقطعهم عُظمُ احتجاج مقالنا على عُظمهم قطعاً كقطع الصوارم
هو الحقُّ ما قلنا شواهدهُ أتت تحزُّ مقالَ القوم حزَّ الغلاصم
تقوم رجال الحق عند قيامهم بقوة عزم في انتباه العزائم
يُقادون رغماً لا يُجاب مقالهم حُفاةً اسارى في اكفّ الضراغم

وخلفاء، فصار ابليس الشيخ ويرمز الى هذا ويستدلّ من لفظ حارة فان حروفه بحساب الجمل ٤٠٩ فاذا استخلصنا عشرات في لفظ سنة واول حروف السنة ٤٠٠ وآخرها ٤٠٩ (وان كانت مربوطة بهاء حارث آخرة) ٤٠٩ فيكون ذلك الاول هو ذلك الآخر. كذا في احدى رسائل الدروز من مجموع اوكلفة الرسالة الدامغة ردّاً على الفاسق النصيري لعنة المولى في كل كور ودور وكذا في غير كتاب من كتب الدروز والكلام فيه لا محل لذكرها الآن ولعلنا نذكرها في مقال آخر ونذكر خبر آدم هذا عندهم وخبر ابليس

(١) يريد آدم غير آدم اول البشر بل آدم هذا الذي يدعونه هو شنبس آدم الصفاء الكلي. قال في الرسالة المنقبية ما حرفيّه: آدم هم ثلاثة آدم الصفا الكلي ومن قبلهُ آدم الناسي الجزئي ومن دونه آدم الثاني الجرماني وجميعهم من ذكر وانثى لا كما قال اهل الزخاريف الحشوية انهم من التراب وما كان البارئ سبحانه ان يأتي بصنف ويخلقه من التراب وهو من العيون الاشياء. انتهى

(٢) كذا بالسين في جميع كتب الدروز وهو رمز عندهم الى الثلاثة والاربعة والستين المكاسرين الدعاة لدين مولانا الحاكم فان حروف سدق بحساب الجمل ١٦٤ وهو عدد هؤلاء الدعاة كذا في تعليق الامير السيد عبدالله التنوخي على بعض رسائل حمزة وغيره.

يناديهم الهادي هلمّوا الى الذي جهلتم من التوحيد من كل عالمِ
هلمّوا الى المعنى الخفيّ وحسبكم شواهد ايديها لكم في الدعائمِ
وقلتم بتأويل المعاني ديانةً على غير ما قد قيل من كل قائمِ
ظننتم بان الطفل يبقى لصغره وأنتم حدّ البلاغ المكاتمِ(١
وأشركتمُ والشركُ كنهُ لنعلكم وامواج بحر الشرك بين التلاطمِ
سيُطلَقُ سيفُ الحق فيكم لجهلكم ويحصدكم كالزرع من غير راحمِ
ويحويكمُ اهلُ الإجابة والتقى وتوحيدهم يربُو على كل غانمِ
ويظهر سيفٌ للتميمي مشهَّرٌ على جمعكم والفعل من غير آثمِ
وما صفوةٌ للمستجيبين باذلٌ جهادكمُ من غير خوفٍ ملازمِ
ويشفي غليلًا في الصدور مُمكّناً ويأتي على انسابكم والتراجمِ
وتمشون جهرًا بالغيار لخُلفكم وتلقون كل الذلّ من غير راحمِ
سيكظم هذا الشعرُ كلّ منافقٍ ويزداد كظماً فوق كظم الاكاظمِ

انتهت وجاء في آخرها ما صورته :

«من الشيخ اسمعيل الى جبل السماق ليُقرأ على كل موحِّد وموحِّدة ارتضى به الولي سبحانه واشاع بنسخه للمستجيبين يتناوضون به نشيدًا في كل يوم جديد»

(تنبيه) نقلنا هذه القصيدة على ما بها من المخالفة لاصول اللغة والشعر. ولا يُظن انهُ يوجد نسخة اخرى اكثر ضبطاً. فان ما وقفت عليهِ من كتب الدروز ورسائلهم لم

---

١) يريد ان الناس كانوا يرون الحاكم صغير السنّ وقد وهموا بذلك . قال في الرسالة المنفية ما نصه : اول ما اختصر ما فعله الولي سبحانه مع برجوان وابن عمار وهو يومئذ ظاهر ما يرونه (كذا) العامة على قدر عقولهم ويقولون صبي السن وملك المشارقة كافة مع برجوان وابن عمار ملك المغاربة كافة فأمر مولانا سبحانه بقتلهم فقُتلوا كالكلاب ولم يخش من تشويش العساكر والاضطراب . انتهى بحروفه

ابجد فيه نسخة مضبوطة . والغريب انك لا تجد كتاباً من كتب الدين هذه الا مشكولة ولكن بشكل غير صحيح . وقد وقفت على نحو عدة نسخ قديمة من كتاب مجموع رسائل منها رسالة الغيبة ورسالة الشمعة وميثاق ولي الزمان وخبر اليهود والنصارى وسؤالهم لمولانا الحاكم عن امر دينهم وغير ذلك وعلى نسخ من كتب اخرى منها الجزء الاول من سبعة اجزاء ومجموع فيه فتاوى الشيخ الفاضل الكوكباني وغير ذلك وكلها ليس فيها نسخة معربة وهي مشكولة كلها ايضاً ولا تكاد كلمة واحدة يكون شكلها صحيحاً

فدونك هذا المثال المنقول بحرفه وتشكيله عن مخطوط قديم من مخطوطات المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين (ص ٢٢٨–٢٢٩) اثباتاً لقولنا :

رسالة الهند

الموسومة بالتذكار والكتاب إلى الشيخ الرشيد المسدد الفعّال تَوَكَّلْتُ على المولى الإله المتعالي الحاكم بأمره المنفرد بلّغتْ جميعَ الخلقِ من العبدِ المتقي الخاضع والشيخ الناصح المبارك لولي الزمان صاحب الكشف ونية الامتحان التام لهداية شيعة المهتدين والمنهج ببرهانه إلى التوحيد اوضح طريق إلى الشيخ الرشيد كهف الموحدين المسدد الفعّال الحكيم المؤيد الموفق في الاقوال والافعال ابن سومر راجبال السلام عليك وعلى حزب الهداية قبلك الموحدين ببلد الهند والملتان المرتقبين لرفع راية الحق وظهور قائم الزمان الباذلين مهجهم في كفاح أهل الباطل وإبانة الأديان كعبد الله ابن البيت القاطع لحبائل اسلافه الأطهار الموحدين التائبين بالتقية والخلاص لأمر المولى إله العالمين . اما بعد فالحمد للمولى الإله المتفرد بمعنى الظهورات الآلهية الحاكم المقدس بلاهوتيته من حيث هو عن الآنية والكيفية المنزه بعد وجوده عما تحيط به العقول وتستطيع بالألفاظ النطقية

... (وقس عليه بقية الكتاب)

معبد مدفني قديم في حمص

لحضرة الاب رينه موتيرد اليسوعي

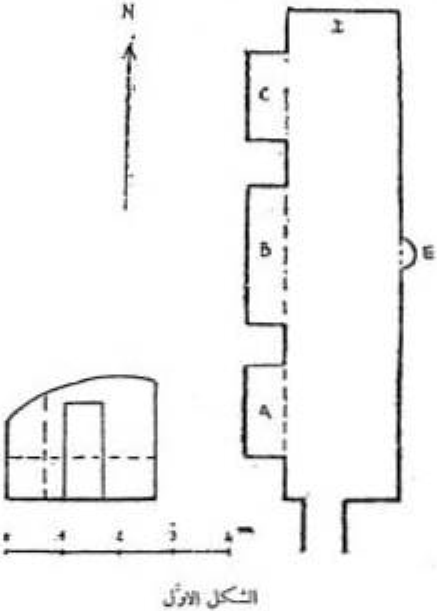
كثرت جرائد شتى في اوائل تشرين الاول خبر اكتشاف سرب ضخم بناؤه مزين بنقوش وكتابات في حي باب السباع في حمص. والسرب المذكور ملك احمد افندي النداف الذي احسن فأبقى تلك النقوش كما وجدها وبينها العلمان وسمح لبعض الزوار ان يعاينوا تلك الآثار. فبلغ الخبر رئيس الآباء اليسوعيين في حمص حضرة الاب قندلا فذهب بصحبة استاذ مدرستهم السيد الياس كرست وتولا الى السرب المذكور ودرسا ما فيه من الآثار واوعزا الى المصور حافظ افندي ديب بأن يأخذ من بعضها الصور الشمسية. ثم أُرسلت الينا كل هذه المعلومات التي استفدنا منها لكتابة الاسطر التالية شاكرين لكل من أدى للعلم هذه الخدمة الجلى فانّا لولاهم لفقدنا كثيرًا من تلك النقوش التي ستتلفها الشتاء بامطاره رغمًا من سعي الحكومة بحفظها وهي قد امرت بطمرها وسد البئر التي يُنزل منها اليها. ولعلّ المعلومات التي بلغتنا ستبقى الشاهد الوحيد على تلك الآثار الجليلة

هذه صفة البناء المكتشف: هو مربع مستطيل متوازي السطوح قائم الزوايا قليل الارتفاع طوله ثمانية امتار و ٨٠ سنتي على عرض مترين و ٨٠ س وعلو مترين وسنتيمترين. ترى في الشكل الاول رسمه الحضيضي وقطعة عموديًا

وكان الداخلون يدخلون الى تلك الحجرة من باب في جنوبيها من احد طرفيها الاصغرين. ويرى الداخل عن شماله من جهة الغرب جدارًا فيه مقنن فيه ثلث كوى وسمناها في رسمنا بالاحرف .A. B. C يفصلها عن بعضها دعائم متينة تتصل رؤوسها ببعضها عند بلوغها العقد المستدير

وكل كوة من الكوى الثلث مزدان بالنقوش يُستدلّ على صورتها بشكلنا الثاني. فترى من فوق قريبًا من العقد اكاليل قاتمة اللون يتخللها نقوش بيضوية زرقاء.

وخضراء وصفراء وحمراء تمثل فصوصاً من الحجارة الكريمة وفي وسط الاكاليـل صلبان حمر في تقاطيعها اول حروف اسم السيد المسيح بين الحرفين اليونانيين A و ω.
ومن تحتها إطار مربع مستطيل احمر في ضمنه كتابات مسطرة ايضاً باللون الاحمر.



الشكل الاول

وتحت الاطار مسطبة صغيرة تعلو عن سطح الارض ٤٠ سنتيمتراً ومن المحتمل انها تربة لاحد الموتى المقبورين هناك

وفي طرف الحجرة شماليها عند النقطة التي وسمناها في رسمنا بحرف D كتابة رابعة ملونة ايضاً اثبتناها في شكلنا الثاني. فترى هناك ليس فقط كتابات يونانية ولكن اسطر نجيلية ايضاً على يمين الصليب مما يدعو الزوار القدماء لذلك المكان كما كانوا يفعلون عند افتقادهم للآثار القديمة وقبور مشاهير الناس. والارجح ان هذه الكتابة

الاسطرنجيلية قد سُطِّرت هنا بقطعة من الفحم وهي مكتوبة ايضاً فوق الكوّة الموسومة بحرف B حيث امكن حضرة الاب تندلا ان يأخذ صورتها الكبيرة وكلتاهما غير واضحة لم نستطع قراءتها الا حدساً وكأنّ النص من آيات الكتاب المقدّس على ما ارتأى احد كهنة حمص السريان

وليس للجدار الشرقي كوى شبيهة بالجانب الغربي وانما له فقط في وسطه كوّة صغيرة قطرها ٥٥ سنتيمترًا وعمقها ٢٠ س رسمنا شكلها في الصورة الواردة هنا، وكأنّي بها مشكاة كانوا يعرضون فيها الصور ومن المرجح انها كانت مذبحاً بقرب تربة الميت كانت تقدّم عليه الذبيحة في التذكار السنوي لدفن الميت. وهذا الذي كان يدعو القدماء الى تدوين سنة دفن موتاهم بقرب قبورهم فجروا هنا على هذا المجرى

وكان فوق المشكاة المذكورة صليب احمر اللون يحدق به اكليل. امّا باطن المشكاة فكانت تزيّنه صلبان اخرى مع إطار هندسيّ قصد النقّاش ان يمثّل به صورة حنيّة تستند الى عمودين

وعن يمين وشمال هذه الكوّة المفردة التي وصفناها كان يوجد ايضاً رسم صليبين احمرين بسيطين منصوبَيْن فوق سعفَيْن اخضرين من النخل مبسوطين افقيًا رمزوا بهما الى رجاء القيامة بقوّة الصليب

٢

فمن هذا الوصف الذي قدّمناه يتّضح بنوع كافٍ معنى الاثر المكتشف. فانّهُ كان معبداً مدفنياً في مطمورة تحت الارض كما يُرى اليوم وعلى كلّ حال كان مظلماً قاتماً اذ لم يدلّنا مراسلونا على وجود شبّاك او منفذ للنور لكنّ فيه فقط جهازاً لتعليق المصابيح. امّا الكوى على جانبي البناء غرباً وشمالاً فانها يشبهان الشبه التام للكوى المدفنيّة (arcosaules) التي هندسها النصارى في الفيلبيين

وكذلك الكتابات فانها ضريحيّة ثبتّناها هنا كما امكننا الاطلاع عليها من مراجعة صورتين شمسيّتين وثلث نسخ خطيّة ارسلها لنا حضرة الاب تندلا

فالكتابة المنقوشة في الكوّة الاولى عن شمال الداخل من الباب (في النقطة التي وسمناها بحرف A في الشكل الاوّل) قد انخدع بها بعض زوّار المحلّ فظنّوا

انها تدلّ على مدفن احد الشهداء مستندين الى قراءة سيِّئة لثلاثة حروف يونانية منها.
وهذا هوَ النصّ بأصلهِ اليونانيّ مع شرحهِ :

[+] Ανεπαυσατο ο μακαριος Φιλιππος εν μ(ηνι) Αρτεμισιω | ιζ του βπψ ετους +.

« قد دُفن المرحوم فيلبُّس في اليوم السابع عشر من شهر ارتيميوس (اعني أيار) من السنة ٧٨٢ (من تاريخ الاسكندر الموافقة لسنة ٤٧٠ للمسيح) »

وتحت الصليب المرقوم في آخر الكتابة اليونانيَّة صورة طائرٍ ارادوا بهِ الحمامة المرموز بها الى خلود النفس المسيحيَّة

والكرةُ الثانية الموسومة بحرف B على رسمنا فيها كتابتان الواحدة منقوشة بالاحمر والثانية منقورة باللون الاسود. فدونك الكتابة الحمراء :

+ Ανεπαυσαν[το] ο μ(ακαριο)ς Μαλας ? μ(ηνι) Δυστρου ιβ του επψ | ετους, και Ουλιας (?) μοναχος Μαιω ζ (το)υ ϙψ ετους.

(تفسيرها) « قد دُفن المرحوم ميلاس (؟) في اليوم الثاني عشر من شهر دُسْتْروس من السنة ٧٨٥ (آذار سنة ٤٧٣م) والياس الراهب في اليوم السابع من أيار من السنة ٧٩٠ (اعني ٤٧٨ م) »

وهذه الكتابة المرقومة باللون الاسود :

+ Ανεπαυσατο ο μακαριος | Ευσεβιος μ(ηνι) Ξανθικου κ του αω | ετους +

(تعريبها) « دُفن المرحوم اوسابيوس في اليوم العشرين من شهر كسانثيكوس من السنة ٨٠١ (؟) آذار من السنة ٤٨٩ م (؟) »

أمَّا الكتابة المنقوشة تحت الكرة الثالثة فان امطار الشهر تشرين الاول الاخير قد اتلفتها تماماً

وتحت الكرة الرابعة في القصر الحجرة في النقطة الموسومة برسمنا بحرف D قد نُقشت كتابتان كما ترى في الشكل الاوّل الذي رسمناه . على انَّ الرطوبة والمطر قد اثّرا في هاتين الكتابتين فطمسا بعضها ومن ثمَّ في قراءتنا لها بعض الارتياب فالكتابة الاولى مكتوبة بحروف كبيرة كما تُرى في اجلّ المخطوطات القديمة

+ Ανεπαυσατο ο ευλαβ(εστατος) κ(αι) θεοσεβ(εστατος) διακ|ονο(ς) ? Γ...λιος ? μηνι Δυστρου ζκ τ(ου) ξ[ψ]| ετους.

تفسيرها : « الشماس هطرس (؟) ذو التقى والعبادة السابقين قد دُفن في اليوم السابع والعشرين من الشهر دوسطروس (آذار) من السنة ٧٦٠ (؟) (اعني ٤٤٨ م)

ودونك الكتابة الثانية :

+ Ανεπαυσατο ο θεο[φ]ιλεστατος ...... [μο]ν[α]χος ? π[ρ]ε[σ]βυ(τερος) ? αρχιμανδριτης αν[απ]α[υ]σ[α]ς, την εν ... η πρωτη μονην εν [μην]ι| ...... α λ του εκω ετους +

« انّ الراهب والكاهن والارشمندريت (فلان) المحبوب كثيراً من الله الذي اقام اسوار الدير المقدّس (في محل كذا) قد دُفن في اليوم الثلاثين من شهر . . . من سنة ٨٢٥ (اعني ٥١٣ م)



الشكل الثاني

٣

فيستفاد من الكتابات المذكورة آنفاً تاريخ المعبد المدفني الحمصي وغايته .

فالتاريخ يُعرف من اقدم كتابة اكيدة في التُّرَب المذكور وهي السنة ٤٧٠ للمسيح . ومن المرجَّح انَّ تجهيز تلك الحجرة وتهيئتها يرتقي ايضاً الى ذلك العهد . والصليب الذي هناك المشتبك فيه اول حروف اسم المسيح قد وُجد سابقاً شبهُهُ في بلاد الشام وبلاد اليونان (١) . والنقوش كذلك من الزمن عينه

والقبر الذي لهُ شأن اعظم في المدفن المنوَّه بهِ هو على ما نظن قبر الشمَّاس (؟) هلُّوس (؟) ومن ثمَّ تكون نقوش الحجرة راقية الى زمن دفنهِ بل قبل السنة ٤٣٠ م . ولمَّا توالت السنون اخذ اصحاب المدفن يقبرون في التُّرَب القديمة موتى جدداً . فترى انَّ الكوَّة الثانية الموسومة بحرف B قد قُبر عندها موتى آخرون في السنين ٤٢٣ ثم ٤٥٨ ثم ٤٨٩ . كذلك مدفن الشمَّاس (؟) هلُّوس (؟) قُبر فيهِ ميتان سنة ٤٥٨ (؟) و ٥١٣

فالكتابات الضريحيَّة اذن خمسٌ وارد فيها اسماء ستة من الموتى . بينهم شمَّاس واحد ثمَّ رئيس دير كاهن وارشمندريت ثمَّ راهب ولمَّا كان الرهبان لا يُدفنون قديماً بعيدين عن ديرهم ينتج عن ذلك انَّ المدفن المكتشف حديثاً كان قريباً من احد الاديرة ولعلَّهُ كان لاصقاً بكنيسة الدير . فانَّنا نعلم من التاريخ انَّ الرهبان منذ السنة ٤٠٠ كانوا اخذوا يشيدون الاديرة في وسط المدن . فكان الشعب يُقبل الى كنائسهم ليسمع الانغام الدينية والتراتيل الطقسيَّة ذات الالحان الشجيَّة التي كان مشغوفاً باستماعها . ولعلَّ القديس رومانوس المرنّم الشهير مولود حمص تعلَّم في وطنهِ تلك الانغام المطربة قبل ان يتغنَّى بها في كنيسة بيروت لمَّا أُقيم فيها شمَّاساً وقبل ان ينتقل منها الى القسطنطينيَّة عاصمة مملكة الروم . بل من المحتمل انهُ انضمَّ في دير وطنهِ هذا في حمص الى عداد الرهبان متنسّكاً

وكان يتقاطر الى كنائس حمص سكَّانها المؤلَّفون من عناصر شتَّى كما كانوا يزدحمون في كنيسة اورشليم . ومما يشير الى ذلك اسم راهب من المدفونين في هذا

(١) اطلب معجم الآثار والطقوس D. H. Leclercq: Dict. d'Archéol. chrét. et de Liturgie, s. v. CHRISME, col. 1481 sqq. Cf. J. Laurent: BCH, t. 23, 1899, p. 218.

الدفن وهو يدعى اولياس (Οὐλίας) وهذا الاسم غوطيٌّ غريب (١) . وكذلك اسم الشمَّاس هطُّوس فانهُ اسم لوديٌّ الأصل شائع في جهات آسية الصغرى

وهناك ايضاً كاهن وارشمندريت ذهب اسمهُ وهو آخر مَن قُبر في هذا الدفن وذلك في السنة ٥١٣م وكان اقام سور الدير

فترى من كلّ هذا انَّ الدفن المكتشف يفيدنا افادات جمَّة عن الحياة الدينية في القرن الخامس للمسيح ولاسيَّا في مدينة حمص التي نجهل كثيراً من تاريخها النصرانيّ

مطبوعات شرقية جديدة

Bertrand Bareilles : Le drame oriental. D'Athènes à Angora. 1 *vol. in-12, Paris, Editions Bossard, 1923, Prix 7 fr, 50*

رواية الشرق التمثيليَّة : من اثينة الى انقرة

المسيو باراين احد الفرنج الذين عرفوا الشرق ودرسوا مشكلاتهِ وهو الذي تشرَّف بتعليم جلالة السلطان عبد المجيد الخليفة الحالي وقضى في الاستانة ٢٥ سنةً فكتب عن تاريخها القديم تأليفاً سبق لنا وصفهُ (ص ٤٧١) وهو يُعدّ نَشر مصنَّف آخر عن المدينة الحالية وسكانها . امَّا الكتاب الذي نحن بصددهِ فانهُ ضمَّنهُ المعلومات الواسعة عن المناقشات التي سبَّبت الحرب الاخيرة بين اثينة وانقرة اي اليونان والاتراك . ففي تاريخ هذه المنازعات اشياء كثيرة ملتبسة روتها الجرائد على حسب اهوائها ونزعاتها . فاعاد المسيو باراين النظر في تفاصيلها مباشراً بسوابقها فوصف احوال اليونان وسياستهم من عهد فنزيلوس الى قوناريس وفي بلاد ايونية وسياسة البرلنتيك المتغيّرة والكسرة الاخيرة فبيَّن كلّ ذلك بايضاح وبراعة دون ان يموّه

---

(١) راجع ما قالهُ بروكوبيوس في كتابهِ حرب الغوط Procop. : De Bello Goth. II, 7, Bonn, p. 174.

وجه الحقيقة. ومما اعجبنا في هذا الكتاب ان صاحبه يتكلم كمسيحي مخلص مفضلًا على سياسة الدول والتيها انتصار التمدن الصحيح والعمران الثابت وفوز الدين المسيحي
ج. لوتيك

L'Epire, Berceau des Grecs : Photographies de Fr. Boissonnas, Introduction de Baud-Bovy. 1 *vol., gr. in-8°*, *Genève, Editions d'art Boissonnas*, 1920. 2e *éd.*.

تصاوير بلاد ايبروس مهد اليونان

ان محل بواسوناس في سويسرة مخصص بنشر صور البلاد الشهيرة. فمما اختاره هذه الثانية بلاد ايبروس مهد اليونان فرسم منها ٤٧ صورة غاية في الحسن والاتقان وتحت كل صورة بيان معناها وخواصها. وقد قدّم عليها السيو بود بوفي ترجمة شائقة لبيان تاريخ تلك البلاد واوصافها
ج. ل

P. Seb. Reinstædler : Elementa Philosophiæ Scholasticæ. T. I et III, Ed. 12., pp. XLVIII-1118 *Fribourg en Brisgau*, *Herder*, *Prix* 36 *fr.* 40

اصول الفلسفة المدرسية

هذا دستور لتعليم الفلسفة المدرسية شائع في جهات اوربة في مكاتبها الاكليريكية وهو اليوم قد بلغ طبعته الثانية عشرة فنكتفي بذلك تنويهاً برواجه وفضله. ومما يستحب في هذا التأليف ان صاحبه ضمّن في مجلدين لطيفين في حجم أنيق سائر مباحث الفلسفة بطريقة سهلة حسنة التنظيم مع حياده عن المسائل الفضولية القليلة الجدوى. فالدارس يجد فيه ما يشتهيه من مطالب الفلسفة التي يحتاج الى معرفتها مع خلاصة المذاهب الفلسفية المستحدثة وتفنيد اضاليلها كاللاادرية والشرتية والجبرية الخ. وبه ايضاً يقف على النتائج العلمية التي بلغ اليها علماء العصر بخصوص علم النفس كما انه يستطيع ان يطلع على بعض الابحاث الجدلية لاسيما على البحث في الفرق بين الجوهر والكيان فان المؤلف عرض القضية بكل اعتدال ذاكرًا لكل فريق حججه ومثبتًا في الاخير ترجيحه لاحد الفريقين. ولعلّ اختبار الدارس لهذا الكتاب استناد صاحبه الى مجموع التآليف الفلسفية المعروف باسم (Lacensis) والى تآليف الكردينال مرسيه الفلسفية
الاب ي. موغان

Ducros (L.) : La Société française au XVIII[e] siècle. 1 *vol*, *in*-12, *Paris*, *Librairie Hatier*, 1922

الجامعة الفرنسويّة في القرن الثامن عشر

هذا كتاب يصلح لتلامذة التعليم ولاساتذة التاريخ في المدارس البيانيَّة واللاهوتيَّة. ومن ميزاته انهُ استخلص من عدَّة آثار مخطوطة ومراسلات قديمة معلومات شتَّى وصفها وصفاً متناسقاً لتعريف ذلك القرن مباشرةً بوزنائه اي الملك وحاشيته ثمَّ بقيَّة طبقات الدولة بحيث يستطيع القارئ ان يحكم الحكم الصواب عن محاسن الجيل الثامن عشر ومعايبه ولا ينسب للعموم ما هو فعل بعض الخاصَّة

Bessières (Albert s. j.) : Parvuli. 1 vol. in-12. Etablissements Casterman. Paris-Tournai, 1923, 55[e] mille, Prix 2 f.

كتاب الاحداث

ينشر اصحاب المطبوعات الموسومة باسم «Hostia» تآليف مختلفة لافادة الذين يهتمّون بتهذيب الناشئة كالاقارب وارباب المدارس والشبيبة المسيحيَّة كراريس عديدة يحسن توزيعها في العموم. ومنها هذا الكتاب المسمَّى بكتاب الاحداث وفيه قصص شائقة واخبار رائقة ممَّا يرشد الكبار والصغار ويعلّمهم حسن تربية الاحداث وتثقيفهم خصوصاً بواسطة فرائض الدين والفضائل المسيحيَّة ج. ل

Plomion (Ch.) : Arithmétique, Cours moyen, certificat d'études, 1[re] partie. 1 *vol*. *in*-12, *Paris*, *Librairie Hatier*, 1923

كتاب حساب مدرسي

وضع المسيو بلوميون هذا التأليف لافادة التلامذة الذين يستعدُّون لطلب اجازة الدروس الابتدائيَّة. فوجدناه غاية في الاتقان من حيث تبويبه وشروحه لسائر القواعد الحسابيَّة فقلَّ وجدنا من شكله ما يجمع كلَّ فوائده ج. ل

النسمات

بقلم سلمى صائغ جمع جرجي نقولا باز
طبع في المطبعة الادبيَّة بيروت سنة ١٩٢٣ (ص ١٨٨)

يسرُّنا ان نرى انَّ النهضة الادبيَّة في مصرنا لم تنحصر في الجنس النشيط فقط بل

التفتت ايضاً الى الجانب اللطيف . وقد كان لوطننا السوري في هذه النهضة النسائية سهمة الاوفر فانه يفتخر ببنات جليلات واوانس اديبات أصدرن المجلات وصنفن التآليف المستحسنة وألقين المحاضرات العلمية كماري يني ونجلا ابي اللمع وماري عجمي وجوليا طعمه وعفيفة صعب . ومنهن من شرفن وطنهن في الخارج كريم زياده (مي) في مصر وعفيفة كرم في الولايات المتحدة وسلوى سلامه في البرازيل . وهاءنذا نشاهد جديد ينبئ برقي وطنياتنا في عالم الادب ألا وهي السيدة سلمى صائغ اودعت هذه النسمات جانباً من افكارها السامية وشعورها الرقيق وعواطفها اللينة وهي تحن خصوصاً وصف بنات جنسها في احوالهن المختلفة كاوانس واخوات وربات خدور شريفات وضحايا مطامع الرجال وظلمهم وكل ذلك بكلام حسن التنسيق لطيف المبنى يسيل رقةً وانسجاماً . فكم هنالك من الفصول البديعة التي قرأناها بلذة في اثنائها العصري البعيد من تهتك الريحاني وتقعر جبران . وقد سُررنا خصوصاً بما في كتابتها من روح الدين ونشات العبادة . ومن ابدع ما رقته يدها الفصل المعنون باجراس العيد وجوائز الفضيلة وذكرها لسيدة حريصا . وبين هذه النسمات فصول أُخرى وطنية تبعث قبيا الكاتبة في قلوب قرائها محبة وطنهم ولتيهم وسياسة بلادهم بالاستقلال ولا بأس في كل ذلك لولا شيء من التطرف في احكامها عن الاجانب ونفورها منهم مع كل ما يؤديه الكثير منهم من الخدم لوطنها . فان في بعض اقوالها (مثلاً في الصفحتين ١٦١—١٦٦) ما يشين قلم كاتبة معتدلة مثلها . اما سؤالها في فصل الغريب (ص ٣٧) عن السبب الموجب لتضحية «اكواب المطود» ومـلاذ الحياة عند خيانة الزوج لزوجته فالجواب في قول الانجيل الطاهر «ما يجمعهُ الله فلا يفرقهُ انسان» فلا يقدم احد اذن الى الزواج الّا بعد التروي

ل . ش

رفائيل بطي : امين الريحاني في العراق

في مطبعة دار السلام ببغداد ١٩٢٣ (ص ٢٢٨)

نصب الريحاني صنم شخصهِ في العراق يتنسم بخور اهلهِ كما فعل في مصر وكما فعل في اليمن وفي الحجاز فهو كالذي «قلمون في كل لون يكون» او

كأني براقش كل حين لونهُ يتحولُ

فتراهُ في مظاهرهِ وازيائهِ وخطبهِ كأبي زيد او ابي الفتح الاسكندري مارونياً مع اهل لبنان ومحمّدياً عند اهل اليمن ونجد والحجاز وعربياً في العراق وهو في احوالهِ كلها يسخر من الجميع ولا يقصد سوى الشهرة ومديح الجمهور. وما كنّا لنبخل على زنزة كلامهِ بالتطبيل والتزمير لولا روحهُ الكافرة التي يبثّها حيثما حلّ وهو يسترها تحت حجاب الوطنيّة ويجعل الدين عدواً لحبّ الوطن. وكلّ يعلم انهُ لا يقوم حبٌّ صادق للوطن الّا بالدين مهما تشدّق الريحاني بقولهِ (ص ١٩٦) : « علينا ان نرفع العاطفة الوطنيّة على العواطف الطائفيّة والمذهبيّة والشخصيّة كلّها. علينا ان نقدّم في امور الدنيا الوطنَ على الدين. علينا ان ننسى خارج الكنيسة والجامع والكنيس اننا مسيحيّون او مسلمون او يهود » . ومن ثمّ يسوءنا ان عقلاء البلاد يطرقون مثل الريحاني الذي اثبتنا الحادهُ غير مرّة فيعظّمون من زادهُ احقّ بالاحتقار والامتهان لا يرونهُ فيهِ من شقشقة اللسان ويسمعونهُ من كلامهِ الفارغ ان لم نقل من الهذيان

ماهيّة النفس ورابطتها بالجسد

تأليف ميخائيل يوسف تيتي .

طُبع في مطبعة دنكور الفلاح - بغداد سنة ١٩٣٣ (ص ١٣٣)

دونك احدى ثمرات إلحاد الريحاني . وهو كتاب نشر فيهِ صاحبهُ كلّ مزاعم الاديين فلم يجد من هو احقّ باهدائهِ الكتاب الّا الريحانيّ وكلّ طائر يأوي الى شكلهِ . فهنّأهُ الريحاني بجرأة افكارهِ وانت تجدنّهُ برهاناً جديداً على مناهضتنا لهذا رجل السوء . الذي يزرع كفرهُ في تربة بلادنا مهبط الوحي وبيئة الانبياء . ما كنّا لنظنّ انّ مراقياً يسطر كتاباً كهذا يحاول فيهِ بكل قحة نقض تعاليم كلّ الاديان واكبر علماء العالم في حقيقة النفس وجوهرها الالهيّ وروحيّتها وفوزتها على المادّة من وجوه شتّى وخلودها فخبط في اقوالهِ خبط العشواء . اذ لم يميّز بينها وبين نفس النبات ونفس الحيوان وجعل اختلاف ميّزتها عنهما في اختلاف المادّة التي يرتبطان بها كما انهُ لم يفرز بين اعمال الجسد واعمال النفس وما تستمدّهُ النفس من الحواسّ وما تترفّع بهِ عنها وتقوم بهِ دونها . فكل هذه تعاليم يعرفها صغار مدارسنا ويجهلها التيتي

ويجدّ الريحانيّ جهلة وسفاسفة . صان الله شرقنا العزيز من كلّ هذه الاضاليل والتوّهات التي لذا التكثر وباؤها انذرت البلاد باوخم العقبى ل . ش

قصيدة الجماعة في ملبوس الخلاعة

بقلم لطف الله نمر البكاسيني

ان الوطن عرضة للاخطار من طرفين من جانب التعاليم الفاسدة ومن جهة التهتّك والخلاعة . وعليه تدعو كلّ من يصدق في حبه ويبتغي رقيّه الى التصدّي لكلا الخطرين . والقصيدة المثوّنة هنا وُضعت لناصبة ازياء النساء الخلاعيّة التي هي احد اشراك ابليس لهلاك النفوس . وقد وضعها ناظمها باللغة العاميّة لتكون اوقع في قلوب العموم وتصوّر لهم سوء فعلهم

مبادئ العربيّة في الصرف والنحو (السنة الثانية)

للمعلم رشيد الشرتوني — كتاب المعلم

بيروت المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٣ (ص ١٦٧)

لا حاجة الى وصف هذه المبادئ التي تكرّرت سبع مرّات طبعها . وقد أُضيف اليها الآن كتاب المعلم لاصلاح ما فيها من التمارين البالغ عددها الثنين والسبعة وذلك توفيرًا للوقت على الاساتذة وازالة لما في بعضها من الشاكل

كتاب علم الادب . مقالات لمشاهير العرب (الجزء الاول)

جمع الاب لويس شيخو اليسوعي . طبعة جديدة

طُبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٣ (ص ٢١٢)

هذه المقالات من اجود وابلغ ما كتبه القدماء في علوم المعاني والبيان والبديع وقد نالت لدى ارباب المدارس والادباء قبولًا واستحسانًا حتى نفدت طبعتها فاعاد جامعها النظر في مظانّها واصلح ما وقع فيها من الاغلاط وادخل فيها بعض التحسينات

زيادةً للفائدة. على انهُ فضّل هذه المرّة طبعها دون ضبطها بالشكل التامّ كالمرّة الاولى ولا داعي موجب لهذا الشغل الثاقل

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

الاب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الاوّل من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠ (سنة ١٩٢٣ ص ١٨٦)

هذه ايضاً طبعة جديدة لهذا الكتاب الذي راجت سوقهُ فلزمنا اعادة طبعهِ. فقام مؤلفهُ بهذا العمل فنقّح واصلح واضاف الى كتابهِ معلومات مفيدة وقف عليها بعد طبعتهِ السابقة او استفادها من بعض الادباء. فجاء اوفى غاية واتمّ كمالاً. هذا فضلاً عن الفهارس المتعددة التي جُعلت في ختامهِ تقريباً لفوائده

شذرات

﴿اوّل كليّة جامعة كاثوليكيّة في هولندة﴾ علمنا بزيد السرور تدشين اخوتنا الكاثوليك في هولندة لكليّتهم الجامعة التي اقاموها في مدينة نيميغ. وهي الاولى من جنسها امكنهم ان ينالوها بعد الجهد الجهيد من الحكومة التي كان غالب عليها الى هذه السنين الاخيرة الدين البروتستاني على انّ الكاثوليك لا يزالون يوماً بعد يوم يزدادون عدداً وفضلاً فصار ينظر اليهم كل مواطنيهم بعين الاعجاب والثقة. وقد تمّ تدشين الجامعة الجديدة بحفلة قلّما جرى مثلها في تلك البلاد فاتتهم رسائل التهنئة من سائر العالم الكاثوليكي مباشرةً بالحبر الاعظم. وقد كثروا عدداً ممتازاً من جريدتهم لودعوها تلك التهاني بلغاتها بينها قصيدة سريانيّة لحضرة وطنينا القس اسحاق ارملة وقد تعيّن لتدريس العلوم العليا في المدرسة المذكورة اساتذة من مشاهير البلاد واساطين العلم من جملتهم اربعة من اليسوعيين واربعة من الدومنيكان. فأملنا عظيم بحسن مستقبل هذه الجامع لما نعهد في الهولنديين من الجدّ والثبات

﴿خطاب سيادة المطران مسرَّة لشعبه﴾ اطّلعنا في الهديّة على الخطاب الذي القاهُ سيادة المطران جراسيموس مسرَّة في كنيسة طائفته الاورثذكسيّة بعد عودته سالماً الى كرسي ابرشيّته. فسرَّنا ما اخبر به سيادتهُ عن نجاحه بما توخّاهُ من سفره الى اميركا. على اننا وجدنا بين تصريحاته ما ذكرهُ عن حضوره في مدينة بورتلند من ولاية اوريكن ما دعاهُ «المجتمع العام لاختنا المحبوبة كنيسة الابسكوباليين الشريفة» ثمَّ ذكر سيادته الجلسات التي استمرَّت ١٧ يوماً ومشاركتهُ لهم في الدينيّات الى ان قال: «وكلّ ما عندنا الآن ان نقولهُ هو انَّ الملاقات بين الكنيستين حسنة جداً والوقت الذي نرى فيه الكنيستين متفقتين تماماً في المبادئ والتعليم لم يعد بعيداً» . ومن ثمَّ على قول سيادته اصبح الاتفاق بين الروم الاورثذكسي والبروتستانت قريباً

ليسمح لنا سيادتهُ ان نلقي عليه بعض الاسئلة طالبين من لطفه ان يجيبنا عنها: أتحقّق سيادته ان السلسلة الكهنوتيَّة الرسوليَّة لم تنقطع في كنيسة الابسكوباليين بعد ان قرَّرت اربع مرَّات الكنيسة اليونانيَّة انَّ هذه السلسلة ليست متَّصلة بالسلسلة الرسوليَّة كما حكم عليها البابوات؟. ٢ أيرضى سيادتهُ بأن تتَّفق الكنيسة الاورثذكسيَّة مع الكنيسة الابسكوباليَّة الجارية على مبدأ الحرّيَّة الشخصيَّة في التعليم والاعتقاد على خلاف الكنيسة الاورثذكسيَّة التي تصرّح بأنها جارية على تعليم الرسل والآباء والمجامع؟. ٣ أيعلم سيادتهُ بانهُ بمشاركته الشيعة الابسكوباليَّة يشارك بالوقت ذاته معظم الشيع البروتستانية المشتركة مع الابسكوباليين بالدينيَّات على ما بينها من التناقض في المعتقدات المنافية لايمان الكنيسة الاورثذكسيَّة؟. ٤ ألا يدري سيادتهُ بانَّ اعضاء الكنيسة الابسكوباليَّة والانكليكانيَّة يقسمون بالطاعة لدستور الايمان الذي قرَّرتهُ الحكومة الانكليزيَّة في القرن السادس عشر المعروف بدستور التسع والثلاثين عقيدة. وكثير من هذه العقائد على طرفي نقيض من تعليم الكنيسة الاورثذكسيَّة؟

هذه اسئلة نؤمل من سيادته ان يجيبنا عليها وقد اثبتناها مطوَّلةً في مقالتنا التي نشرناها في المشرق (٢٠[١٩٢٢]: ٨٦٨–٨٧٥) تحت عنوان «الارثذكسيَّة والانكليكانيَّة» وقد بيَّنا فيها ان اشتراك الكنيسة الاورثذكسيَّة بالكنيسة الانكليكانيَّة تقويض اساس الكنيسة اليونانيَّة ونفي تعاليمها القديمة التي لا يجوز تضحية اصغرها ولو بمال العالم كلّه

﴿آثار جبيل﴾ توفق المسيو بيار مونته استاذ كلية ستراسبورغ والضليع بالآثار المصرية الى اكتشاف مدافن جبيل الراقية الى القرن التاسع عشر قبل المسيح فوجد قبوراً لملوكها الّا ان النواويس الخشبية الثمينة كانت تلفت بفعل الزمان. وقد وُجدت هناك كتابات هيروغليفية ورد فيها اسم ملكي مصر الفرعون منحمت الثالث الذي تولى الامر من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٠٠ قبل المسيح والفرعون منحمت الرابع الذي خلفه من السنة ١٨٠٠ الى ١٧٩٢. ومما ظهر ايضاً في المدافن المذكورة اثاث بديعة وامتعة ثمينة كثيرة العدد منها خزفيات كجرار وخوابي ومنها آنية رخام وصندوقة لوضع الحلي كان بقربها امواط وخواتم واسوار وسلسلة ودرع واسلحة وصوالج ذهب وحجارة كريمة كلها من امتعة الميت الذي كانت تأوي نفسه الى القبر وتأنس بما تمتعت به في هذه الحياة. وذلك على حسب معتقد اهل مصر وعاداتهم التي جروا عليها في سواحل الشام. وسنعود الى وصف هذه الآثار في فرصة اخرى

﴿ارتداد ارشمندريت ارثذكسي الى الكثلكة﴾ في ٩ تشرين الاول اعلن الارشمندريت سرجيوس دابيث (Serge Dabith) بارتداده الى الكنيسة الكاثوليكية في باريس في حفلة ترأسها السيد شبتال اسقف ارثيندا منوَّخاً من الكرسي الرسولي لهذه الغاية. فحضرة الارشمندريت سرجيوس درس في روسية ونال اجازة الملفنة في اللاهوت والحقوق ثم تعيَّن كخادم السفارة الروسية في اليونان مدة ستّ سنوات ثم أُرسل كوكيل الاوقاف الكنسية في جنوبي روسية ثم عُهدت اليه رئاسة كنائس طائفته الارثذكسية في النمسة والمجر وبلاد السلافية. وهو اول ارشمندريت روسي رجع الى حجر الكنيسة الكاثوليكية منذ المجمع الفلورنتيني

﴿الوسام المنوح لاستاذ الخطابة في كليتنا﴾ نهنئ حضرة الخوري مارون غصن استاذ الخطابة العربية في كليتنا ومدير محفلها الادبي لما ناله من لطف الحكومة الفرنسوية التي اهدته عن جدارة وسام الجمعية العلمية من رتبة اوفيسيه. وفي صنعها دليل على اعتبارها للآداب العربية في بلاد انتدابها وتقديرها لاعمال حضرته الخطابية. ونهنئ كذلك تلامذته الذين تخرجوا عليه واحتذوا غيرته في تعزيز لغتنا الشريفة فيسرُّهم مجازاة الحكومة لاتعابه

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد الكهنة أصحيحة هي الكلمة المنسوبة الى لوثاروس «إخطأ كثيراً وليكن ايمانك ازيد من خطيئتك» وفي اي تأليف من تآليفه قال ذلك ؟

كلمة لوثاروس في التحريض على الخطيئة بزيادة الايمان

ج لا سبيل الى إنكار الامر فانَّ لوثاروس قالها في رسالته الى تلميذه ميلنكتون التي تاريخها في غرَّة شهر آب سنة ١٥٢١ تجدها بين مجموع تآليفه الرسمي في المجلَّد الثاني ص ٣٧ من طبعة ڤات (Watte)

س وسأل احد طلبة كليّتنا . كيف تكوّنت البحار وما هو سبب ملوحة مياهها ؟

تكوين البحار وسبب ملح مياهها

ج معلوم انَّ جلَّ تركيب الماء من عنصري الهدروجين والاوكسجين وكانت كرتنا قبل جمودها في حالة غازيّة يكثر فيها هذان العنصران . فلمَّا رسبت فيها العناصر الثقيلة فتكوّنت القارَّات تبخَّر عنصرا الهدروجين والاوكسجين وامتزجا ثمَّ تجمَّدا بطبقات الجوّ الباردة وهبطا على الارض فتكوَّنت منها البحار . ولمَّا كان معظم الصخور الموجودة على وجه الارض يتركَّب من عناصر يكثر فيها كلورور الصوديوم وهو ملحنا الاعتيادي امتزج ذاك الملح بماء البحر مع قليل من املاح أُخرى فيه .

س وسأل حضرة القس فيلبُّس حنَّا وأكد حبيش ايمكننا اثبات اتصال الاسرة الحبيشيَّة المارونيَّة بالمسمَّى حُبَيْش بن الاعسم الدمشقيّ تلميذ حنين الطبيب الشهير ؟

حُبَيْش بن الاعسم الدمشقيّ والاسرة الحبيشيَّة

ليس لدينا دليل على هذا الاتصال لاسيما انَّ حبيشاً المذكور كان في القرن العاشر للمسيح واقدم اثر مخطوط يُعرف عن بيت الحبيش لايرتقي الى وراء القرن الخامس عشر . امَّا التقاليد الشفهيَّة فليست مقنعة بغير ادلَّة واضحة . ثمَّ انَّ اسم حبيش كان كثير الشيوع عند العرب (يُراجع تاج العروس في مادَّة حبش) ل . ش